

نہ زربا کے

۸

آقا کریم ستی

سرمیہ فی ایقتہ فضول



تألیف

یوحینہ اونیلے

S
8

من أدب المسرح « ٨ »

أناكريستي

نشر هذا الكتاب بالاشتراك

مع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

القاهرة — نيويورك

أناكريستي

مسرحية في أربعة فصول

تأليف

يوحين أونيل

ترجمة

الدكتور جميل سعيد

تقديم

حسن بلال العروسي

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٩٥٩

هذه الترجمة مرخص بها . وقد قامت مؤسسة فرانكلين
للطباعة والنشر بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of ANNA CHRISTIE
by Eugene O'Neill Copyright 1922, by Horace Live-
right Inc. Copyright renewed 1949, by Eugene O'Neill.
Published by the Modern Library, Inc. New York.

يكرن تمثيل هذه المسرحية أو إذاعتها أو قراءتها علناً بعد استئذان
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ٣٣ شارع قصر النيل بالقاهرة .

تقديم

بقلم

حسن جلال العروسي

ليست مسرحية « أنا كريستي » هي أولى المسرحيات التي نقدمها للقارئ العربي من تأليف يوجين أونيل . فقد نشرت له مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين مسرحية « وراء الأفق » في طبعتين متتاليتين ، كما تنشر له بالاضافة الى هذه المسرحية مسرحيات « الامبراطور جونس » ترجمة الأستاذ أنيس منصور ، و « التيه » ترجمة الأستاذ كمال الملاخ . كما سبق أن نشر له في بغداد مسرحية « الاله الكبير براون » ترجمة الدكتور جميل سعيد وهو نفسه مترجم هذه المسرحية التي نقدم لها اليوم . ولعل مسرحية « وراء الأفق » هي أكثر مسرحيات أونيل حظا من معرفة القراء وهواة المسرح في البلاد العربية . فقد أذيعت كاملة في البرنامج الثاني « الثقافي » للاذاعة المصرية كما مثلتها فرقة المسرح الحر بحديقة الأزبكية . فيوجين أونيل اذن ليس مجهولا للقراء حتى يحتاج الى كلمة تقديم ، ومع ذلك فأننى لا أطمع في أن توفييه هذه الكلمة القصيرة بعض حقه من الدراسة والتحليل . ان التوسع في ترجمة مسرحياته الى العربية لم يجيء مصادفة ولا هو وليد اعجاب خاص بهذا المؤلف أو رغبة في تسليط الأضواء عليه ، اذ الواقع أن يوجين صرح شامخ من صروح المسرح العالمى الحديث ، كما أنه واحد من الكتاب الأمريكيين القلائل الذين دفعوا بالمسرح الأمريكى دفعا الى المكانة التى يتبوؤها

اليوم فهو اذن وبهذه المثابة علم من أعلام الأدب المسرحى له رسالة وله آثار خليقة بدراسة طلاب الأدب وطلاب المسرح على السواء .

ولد أونيل فى أكتوبر سنة ١٨٨٨ . وولد على المسرح مجازا وحقيقة ، فقد ولد فى حى « برود واى » وهو حى المسارح المعروف بنيويورك ، وعلى مقربة من المسرح الذى كان يقوم على خشبته أبوه بتمثيل دور الكونت دى مونت كريستو فى قصة فيكتور هيجو المعروفة . كان أبوه واحدا من فحول الممثلين فى زمنه ، وعاش يوجين خمسة وستين عاما كانت امتدادا لحياة والده فى تأصيل علاقة الأسرة بالمسرح . فلا غرو اذن أن يكون الجانب المسرحى من إنتاجه الأدبى هو أبرز جوانب حياته الفكرية رغم أن إنتاجه العام فى الأدب والشعر لم يكن ضحلا ولا طفيفا .

ولقد استعر الخلاف فى أدب أونيل وفى تقويم آثاره الفنية ووضعها فى مكانها الصحيح من النتاج الأدبى العالمى . فهاجمه فى مستهل حياته ناقدوه أعنف المهاجمة ، ورفع أنصاره - وكانوا فى البدء قلة سرعان ما كثرت وانتشرت - رفعوه الى القمة فى التقدير والتمجيد ، وليس هذا الاختلاف فى رأى والتضارب الشديد فى التقدير محل عجب ، فهذا شأن الناس دائما ازاء العباقرة والرواد المجددين ، ومن ترفق الحياة بأونيل أنه لم يمت قبل أن يذعن له العالم بالاعتراف بالتفوق والعبقرية ، وحسبه أنه نال جائزة «البولتزر» وهى قمة التقدير الأدبى فى بلاده - لا مرة واحدة بل ثلاث مرات - وجائزة نوبل سنة ١٩٣٦ كما منح الدكتوراه الفخرية فى الأدب من جامعة « ييل » لمساهمته المبدعة بالأساليب الجديدة الأخاذة فى فن التمثيل .

ان أدب أونيل من طراز فنى متفرد فليس أصعب على الناقد من أن يحاول أن يدرجه فى مدرسة من تلك المدارس المسرحية التى جرى النقاد على تقسيم الأدب المسرحى اليها ووضع معالم مميزة لكل

منها فخصائص هذه المدارس مختلطة متداخلة فى أدبه ففى كتاباته رمزية وفيها واقعية ، وفيها فلسفة ، وفيها رومانسية . ولكن مسرحياته مع ذلك لا تنتمى - بالمعايير الفنية الدقيقة - الى أية مدرسة بذاتها من هذه المدارس ، ذلك لأن الصحيح أن أونيل مدرسة جديدة فيها كل ما تقدم من خصائص وفيها أيضا غموض فى بعض النواحي وثورة مشبوبة على الحياة كما عرفها خلال حياته الخاصة وعلى المجتمع ممثلا فى مجتمعه الأمريكى .

كان أونيل دائم التبرم بالاغلال والقيود التى كان يجد نفسه مكبلا بها فى المجتمع الأمريكى وكان باستمرار يريد الانطلاق والفكاك من هذه القيود ولكنه لم يكن يريد الفكاك لنفسه فقط بل يريد للفكر والفن والأدب فكان اتجاهاه الأدبى صرخة احتجاج فكرى ، احتجاج على مادية الحضارة الأمريكية ، احتجاج على التعصب والتزمت من ناحية والترخص والتبذل من ناحية أخرى فراح يدعو بقوة الى تشجيع الابتكار والتجديد وتمجيد كل ما هو حق وأصيل فى السلوك الانسانى وفى العمل الفنى على السواء ، ودعا الى محاربة الرجعية التقليدية التى سادت تفكير عصره فكان أدبه - على ما ساد من بوهيمية وشذوذ - حافلا فى نماذجه العليا بكل مقومات القوة والكرامة التى هى طابع الثورة الحققة حين تنضج وتكتمل فتهدم مكتسحة عوامل الفساد والانحلال . وكان أدبه فى ذلك يمثل ثورة الطبقة الوسطى فى المجتمع حين تضيق بالجمود والركود والعقم فتنتطلق فى طريق الإصلاح لا تلوى على شيء . لم يكن أونيل يجهل خطورة ما هو بسبيل الاقدام عليه ، ولم يكن يجهل متانة البناء الذى قام لهدمه ، ولكنه مع ذلك شعر بأنه لم يكن يسعه الا أن يثور فثار ، واسمعه يقول فى ذلك فى بعض أشعاره : «كنت فى أول عهدي بالأدب أعلم أصدق العلم مدى خطورة القوات الثقافية التى كان على أن أحاربها وكنت أشعر وكأننى غواصة صغيرة رقدت متربصة تحت سطح الماء تنتظر فى صبر

الفرصة المناسبة لتطلق قذائفها على الباخرة الضخمة الرابضة على ظهر الماء » . على أن المعركة الثقافية حينما أذن لها أن تبدأ جاءت بأكثر من مفاجأة لأونيل ، فقد اتضح أن الكثيرين من أفراد بحارة الباخرة التي أراد نسفها ، تبينوا في أنفسهم حقيقة لم يكن لهم بها علم وهي أنهم كانوا يحاربون في المعركة الى جانب لم يتخيروه بارادتهم ، وسرعان ما بدأ الكثيرون من أعداء أونيل التقليديين يمدونه في السر بالمعاونة والتشجيع ، وهكذا وجد أونيل في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين أن له من الانصار المستمعين أكثر بكثير مما كان يحق له أن يتوقع ، وهكذا نجحت الثورة التي تزعمها أونيل في تغيير معالم الثقافة الأمريكية في الربع الأول من هذا القرن .

كان الطابع الأول الذي بهر أونيل جمهوره به هو الأسلوب ، فقد ابتدع قوالب جديدة وأقنعة رمزية - استعارها من المسرح الاغريقي التقليدي - كان يضعها على وجوه أبطال مسرحياته ، كما نحا نحوا جديدا في توجيه ترتيب الأثاث على المسرح بحيث يعبر ذلك عن جو معين يريد أن يرمز اليه وأن يوحي به ، فهو اذن لا يحرك شخوصه وحدهم ، بل يشيع فكره في جو المسرحية كله ، فيسخر كل ما على المسرح لتحقيق هدفه .

ولمس قراءه ورواد مسرحياته جديدا مبتكرا في جرس كلمات حواراته ، وفي تحريكه لشخصياته ، وفي تصويره اياها بألوان جديدة تتسم بالحيوية كما تتسم بالمصارحة المكشوفة أحيانا على نحو لم يكن للمسرح الأمريكي به عهد من قبل ، فأخذ رواده والمعجبون به أول الأمر بابتكاره الفنى وبجراته في اختيار موضوعاته ولغته ، وخيل اليهم أن أونيل قد عرض كل بضاعته . على أن أونيل لم يلبث أن كشف عن حقيقة نفسه وأصالته الفنية وعمق اتجاهاته الفلسفية . لقد قيل ان أونيل هو محرر المسرح الأمريكي وليس من شك أن نصيبه في تطوير المسرح الأمريكي من مرحلة كان لا يستهدف فيها الا اجتذاب

الجماهير واسترضاءها الى مرحلة اتجه فيها الى اخراج العمل الفنى المتكامل ، لا شك أن نصيبه فى هذا التطوير لم يكن مسبوقا ولم يكن مرجوحا .

ان فى أدب أونيل نزعة واضحة الى التأمل الفلسفى ، وهذا التأمل يلاحظ أكثر ما يلاحظ فى مسرحياته الأولى التى كتبها فى أوائل العقد الثالث من هذا القرن . وفى هذه المسرحيات يبدو المؤلف مشغولا مهموما بالغيبيات ومسائل ما وراء الطبيعة وعلاقات الخلق بالخالق، فهو أبدا يحاول يائسا استكناه خبايا الغز الأكبر ، الكون . ومع أنه يبدو فى بواكير إنتاجه ناقدا ، ناقما على النظام الاجتماعى فان نظراته تمتد بغير شك الى آفاق أبعد من مجرد التبرم بالمجتمع الأرضى ، فهو يحاول حائرا أن يستشف ما وراء ذلك الأفق المحدود دون أن يبحث فى مغزى الحياة نفسها وهو لذلك طموح الى افساح مجال البحث أمامه ، وهو يحرك شخصياته غير قانع بمجال المسرح المحدود ولا بمجال الحياة نفسها ، فهو أيضا محدود ولكنه يرنو بعينه الى آفاق بعيدة لا نهاية لها : ما وراء الوجود وما وراء الطبيعة . والمسرحية التى نقدمها اليوم واحدة من ثلاث تسير كلها على نفس هذا النمط وتصور قلق المؤلف وشكه وتساؤله . أما المسرحيتان الأخريان فهما : « الامبراطور جونس » و « الرجل القرد » وفيها جميعا يلتزم المؤلف منهجا فلسفيا واحدا هو تصوير ضعف الانسان وقسوة الكون والحاجة الى ايجاد نمط من الحياة ومن التفكير يكفل للانسان العثور على ما لاغنى له عنه من الطمأنينة الروحية . وأونيل فى محاولته استكمال الصور التى يرسمها بإبطال قصصه الثلاث يحاول جاهدا أن يجيد تشخيص الداء ، كما يحاول أن يجيد وصف العلاج ، ولكنه فى ذلك كله لا يستطيع أن يتخلص من الصراع الذى يسيطر على تفكيره طول الوقت وهو الاشفاق من انعدام التناسق بين ضالة الفرد وحقارته من ناحية وضخامة الطبيعة أو الكون وقوته الساحقة من

ناحية أخرى . فقوام مسرحياته الثلاث التي ذكرناها هو عمق شعور المؤلف بتعاسة الانسان بتغليب الفكر على الشعور وهو يعالج الموضوع في مسرحية « الامبراطور جونس » من ناحية تصوير الانسان في جهالته وضالة خبرته ومخاوفه الهستيرية مغلفة في غطاء رقيق من الفكر يحكمه ويشقيه . أما في « الانسان القرد » فهو يصور بطريقة مثيرة مدى كبرياء الانسان وغروره في غير مقتض وبغير مبرر .

أما مسرحية « أنا كريستي » - وهي التي تعيننا هنا - فأسلوبها الفني يختلف عن زميلتيها ولكنها تشترك معهما في رمزيتهما للمصير الرهيب الذي لا بد أن ينتهي اليه انسان . ولعل هذه المسرحية تبدو غامضة لمن لا يحاول أن يفهمها في ضوء المسرحيتين اللتين سبقت الإشارة اليهما وكجزء مكمل لاتجاه فكرى فلسفى واحد فموضوعها الأساسى ليس فيه جديد وقد قتل بحثا موضوع « المومس » المستهتره بكل شيء ، والقارىء - أو المشاهد - قد يحتار في فهم الفكرة الأساسية في المسرحية الى أن يصل الى كلمة كريست « بطل الرواية » فسيجد عندئذ أنه ليس ازاء ميلودراما جنسية ولا شيء غير ذلك ، بل هو بصدد محاولة صادقة لفهم الحياة كلها ، وان فلسفتنا المعاصرة اليوم هي الفلسفة الوضعية وفيها يلعب الفكر دور الأداة التي تستطيع - وينبغي لها - أن تتحكم في الغرائز العمياء ، فالفكر اذن يقاوم الغرائز بحسبانها بعض النواحي الفجة التي لم يكتمل نضجها من حياتنا وهو لذلك يحاول أن يغير هذه النواحي قهرا . وهذه الفلسفة نفسها توحى اليينا بأن المشاكل التي تواجهنا هي كيفية تنظيم النواحي المادية والمعنوية من وجودنا وتحاول أن تغلق تفكيرنا دون الاتجاه الى الموت والنواحي التي تتصل به وتدور حوله ، ولكن أونيل لا يشارك أغلبية جيله في هذه الفلسفة الوضعية فهو لم يستطع قط أن ينحى موضوع الموت من فكره بل على العكس فان التفكير في هذا الموضوع بالذات لا يفتأ يراود فكره ويتسرب من خلاله الى

أبطال مسرحياته فتروح تتساءل عما اذا كانت الحياة ودور الانسان فيها له قيمة من أى نوع ، فأونيل يستنكر فى الناس كبرياءهم ويهون من شأن ما يحسبونه لأنفسهم من قوة . وهو فى محاولته تحطيم هذه القيم الايجابية التى يؤمن بها أهل العصر يحاول فى الوقت نفسه أن يثبت أن ثمة قيما أخرى خالدة باقية ، ومستويات رفيعة للسلوك يعجز تفكيرنا الايجابى عن الالمام بها ومعانى نخطئ تفهمها لأننا نحاول أن نرد كل شىء الى العقل فالفكر كما يمجده الواقعيون شىء خطر جدا والعقل هو أساس الفرقة بين الانسان وأخيه ، بل وبين الانسان ونفسه ، فالتركيز فى الشعور الذاتى قد يحيى القوة ولكنه فى الوقت نفسه قد يमित الانبعاثات الغريزية فى الانسان وبغيرها لا يمكن أن تستقيم حياتنا هذه .

ولقد قام بترجمة هذه المسرحية أديب وأستاذ عراقى كبير هو الدكتور جميل سعيد وكيل كلية الآداب والعلوم ببغداد . وقد طرق بهذا النقل الى العربية ميدانا يعرفه أحسن المعرفة ، فهو أستاذ للنقد الأدبى من ناحية ، وهو متخصص فى الأدب الأمريكى وأدب أونيل بصفة خاصة ، درسه فى جامعة برنستون على الأستاذ ألن داوئر الحجة المعروف ومؤلف الكتاب القيم الذى نشر ملخصا عن المسرح الأمريكى فى خمسين سنة ضمن الكتاب الذى نشرته هذه المؤسسة تحت عنوان « دراسات فى الأدب الأمريكى » . وقد جاءت الترجمة أمينة دقيقة وفى أسلوب واضح مشرق . ولا غرو فان خبرة المترجم فى موضوعه خليقة بأن تقرب الى الأذهان آثار كاتب كبير يشوب أسلوبه الكثير من الغموض .

اشخاص المسرحية

جونى - الملقب بالقسيس

حمالان من حمالى الموانىء

موزع بريد

لارى - ساق

كريس - كريستوفرسن - ربان سفينة الشحن
« سيمون ونثروب »

مارثى اوين

أنا كريستوفرسن - ابنة كريس

ثلاثة بحارة

مات بيرك - وقاد فى سفينة

جونسون - بحار عادى فى سفينة الشحن

- المناظر -

الفصل الأول : فى صالون « جونى » الملقب بالقسيس على مقربة من
رصيف الميناء فى مدينة نيويورك

الفصل الثانى : بعد عشرة أيام من الفصل الأول - فى سفينة الشحن
(سيمون ونثروب) ، الراسية فى ميناء بروفتستون
فى ولاية ماساشوسيتس .

الفصل الثالث : فى غرفة فى باخرة الشحن فى مدينة « بوستن »

الفصل الرابع : بعد يومين من الفصل السابق ، يعاد المنظر السابق
نفسه .

الفصل الأول

منظر :

يرى « سالون » جوى الملقب بالقسيس ، الواقع قرب الشارع الجنوبى ، فى مدينة « نيويورك » .
يقسم المسرح قسمين ، ترى فى مؤخرته غرفة صغيرة على اليمين . وعلى اليسار . فى الأمام من البار - شبك كبير مظل على الشارع . وراءه المدخل الرئيسى ، وهو باب ذو مصراعين . وفى الخلف بعيدا شبك آخر . والبار يمتد من اليسار الى اليمين - على طول الجدار الخلفى تقريبا وخلف البار مخزن صغير ، يرى فيه قليل من القناتى المقفلة التى يقل طلبها . والباقى من القسم الخلفى ، أمام المرايا الكبيرة ، مشغول بأنصاف براميل « الوسكى » الرخيص ، من النوع الذى تباع كاسه بقرش ، والشراب يؤخذ منها بوساطة صنادير « حنفيات » .

وفى اليمين مدخل مفتوح يؤدى الى الغرفة الخلفية . وفى الغرفة الخلفية أربع مناوئ خشبية مستديرة ، جمعت حول كل منها خمسة كراسى ، وفى الخلف مدخل عائلى ، يطل على شارع فرعى .

فى عصر يوم من أيام الخريف عند ازاحة الستار يرى جوى الملقب بالقسيس ، وهو لقب جدير به ، يرى بوجهه الشاحب النحيف ، الحليق ، وشعره الأبيض وعينيه الخفيفتى الزرقة . هذه الملامح أصيبت عليه هيئة القسيس ، حتى لو أنه ارتدى ثوب

العيسى كان أنسب له من صدرية العامل . واثك
لا ترى في صوته ، ولا في هيئته العامة ، ما يبعد الشك
في أنه شخصية هامة في الميناء . ولكنك وراء ماتحسه
من رقة في صوته ، ولطافة في هيئته — تحس وراء كل هذا
أن الرجل يتوارى خلف قناع ، أنه ساخر قاس ، في
مثل المسامير صلابة ونفاذا يرى متكئا وراء البار ، وقد
أخذ راحته ، وترك نظارته فوق أنفه وراح يقرأ جريدة
مسائية .

يدخل حمالان من الشارع في صدرتي العمل
وقد وضع كل منهما شارة النقابة في قميصه وأمال
القبة في رأسه بحيث تؤلف زاوية واضحة مع الرأس .

الحمال الأول: (وهما يقفان في صف على البار) أعطني كأسا قوية من
الشراب من الرقم الثاني (يرمى قطعة من النقود على
البار) .

الحمال الثاني: ومثلها لي (جوني يضع كأسين من « وسكى البراميل »
الرخيص أمامهما) .

الحمال الأول: صحتك ! (يوميء الآخر برأسه ، ويفرغان كأسيهما
بجرعة واحدة) .

الحمال الثاني: (وهو يضع الدراهم على البار) أعطنا كأسا أخرى .

الحمال الأول: أعطني هذه المرة كمية كبيرة من بيرة
اللاجر ، والبورتر فاني عطشان ! .

الحمال الثاني: ومثلها لي (جوني يملأ كأسين كبيرتين من بيرة اللاجر
والبورتر ، ويضعهما أمامهما وقد علتها الرغوة . يشرب
كل منهما نصف كأسه ، ويأخذان مسرعين في الحديث
بصوت خافت . يفتح الباب من الناحية اليسرى ، ويدخل
لاري وهو فتى وردى الخد ، حسن الطلعة ، في نحو
العشرين من العمر) .

لارى : (وهو يومئذ برأسه لجونى فرحا) : تحية أيها الرئيس .

جونى : اهلا بك ، لارى (ناظرا ساعته) جئت فى موعدك المحدد (لارى يذهب الى اليمين خلف البار ، يخلع معطفه ، ويلبس صدرية العمل) .

الحمال الأول: (فجأة) هيا نكمل الشراب ، ونرجع للعمل (يفرغان من شرابهما ، ويخرجان متجهين نحو اليسار ، يدخل موزع البريد حال خروجهما . يلتقى بجونى ، فيتبادلان التحية برأسيهما ، ويلقى الموزع رسالة على البار) .

الموزع : عنوان الرسالة بواسطتك يا جونى ، أتعرفه ؟ .

جونى : (يأخذ الرسالة ، ويقيم نظارته . يجىء لارى وينظر الى الرسالة من وراء كتفيه . جونى يقرأ ببطء) كرسنوفر ، كرسنوفرسن .

الموزع : (يعاونه) من أسماء اسكندنافية .

لارى : الشيخ كريس - انه هو ! .

جونى : أوه ، نعم لقد فاتنى أن كريس يحمل اسما معقدا كهذا كانت الرسائل تأتية من قبل الى هنا ، لقد تذكرت الآن، على انها لم تأت منذ زمن بعيد .

الموزع : سيتسلم الرسالة اذن ؟ .

جونى : بالتأكيد ! انه يأتى الى هنا كلما كان فى الميناء .

الموزع : (مستديرا للانصراف) أبحار هو ؟ .

جونى : (متكلفا بالابتسامة) هو ربان سفينة من سفن الفحم .

الموزع : (ضاحكا) هذا عمل أيضا ! مع السلامة ! .

جونى : مع السلامة . ستصله الرسالة (يخرج الموزع ، وجونى

ينعم النظر في الرسالة) لارى انه أسهل عليك ان تقرا خيرا منى ، من أين هذه الرسالة ؟ .

لارى : (بعد أن ينظر اليها) من « سنت پول » . أظنها فى ولاية « منيسوتا » . وخطها خط نسائى أيضا . يا له من شيطان ! .

جونى : له بنت فى مكان ما فى الغرب . أظنه قال لى هذا مرة (يضع الرسالة فوق أداة تسجيل النقود) خطر ببالى الآن ، اننى ما رأيته من زمن (يرتدى معطفه ويقترب من نهاية البار) يبدو لى أن وقت عودتى الى البيت قد حان ، الى اللقاء غدا .

لارى : ليلتك سعيدة ، سيدى (وحال يذهب جونى متجهها نحو باب الشارع ، يفتح الباب ويدخل كريستوفر كريستوفرسن . وهو قصير بدين ، عريض الاكتاف ، فى نحو الخمسين من العمر ، ذو وجه مستدير أحمر ، لوحته الشمس والرياح ، وعيناه خفيفتا الزرقة ، قصيرتا البصر ، تنمان عن نفس راضية مرحة . ويبدو فمه الواسع ، وكأنه معلق بشارب كثيف أصفر متهدل ، ترى فيه هيئة الرجل يعتز برأيه ، ولا ينقاد بسهولة لغيره وهو ذو رقبة غليظة ، قد ثبتت كالعمود فى جذع جسمه . وذراعاها انتهتا بكفين فيهما شعر علاهما النمش ، وانتهت ساقاه القصيرتان الممتلئتان ، بقدمين واسعتين مفلطحتين يمشى وكأنه يتمايل . وصوته — حين لا يكون عاليا — يكون لطيفا ، انه يتحول الى ما يشبه الهمس مع شىء من الغموض والحزن فى نبرته . يرتدى بدلة بحرية سوداء ، غير محبوكة الهندام ، كأنها خيطة لغيره ، وقبعة بالية من قماش رمادى اللون ، قد تهدلت فوق رأسه .

ذی الشعر الکتیف الأشقر الأشیب . يبدو ، وقد أشرق
وجهه بانسراح أظهره بمظهر الشارب المنتشی . يمد يده
الی جونى ! .

کریس : مرحبا ، جونى ! خذ شرابا على حسابى . لارى تعال ،
اعطنا شرابا ، وخذ كأسا لك على حسابى (ماذا يده فى
جيبه) لقد حصلت على نقود - نقود كثيرة .

جونى : (يهز کریس بيده) يقول المثل : « تحدث عن
الشيطان تر الشيطان » الآن فرغنا من الحديث عنك .

لارى : (آتيا الى نهاية البار) أهلا ، کریس ، ضعها هنا
(يتصافحان) .

کریس : (باشا) أعطنا شرابا .

جونى : (متكلفا الابتسامة) توشك أن تكون سكران . من أين
لك الشراب ؟ .

کریس : (مبتسما) ملاح آخر ، فى سفينة شحن أخرى ،
ارلندى ، جاءنا بقنينة من الوسكى وشربناها معا ، أنا
وهو فقط ، وكم كان الشراب الذى فيها قويا ! وأنا الآن
جئت من الساحل . لارى ! أعطنا الشراب . أحس نشوة
الشراب ، وأحس أننى مرتاح (يضحك ويأخذ فى الغناء
بصوت عال فيه شىء من الغنة والارتجاف) .

حبیبتى جوزفین تعالی الى السفينة .

لقد طال انتظارى . القمر قد أشرق ، وهو يحكىك حين
یشرق .

تشى - تشى - تشى - تشى .

ش ش ، ش ش ، ش ش ، ش ش .

(يحرك ساعده في المقطع الاخير وكأنه يقود فرقة موسيقية) .

جونى : (فى ضحكة) أتلك جوزفين نفسها ، يا كريس ؟ .

كريس : انك لا تعرف الانشودة الحسنة حين تسمعها ، انه أحد الايطاليين فى احدى سفن الشحن ، هو الذى علمنى هذا .
أعطنا شرابا (يلقي بقطعة نقود على البار) .

لارى : (فى تكلف) اى شراب تفضلان يا سادة ؟ .

جونى : كأسا صغيرة من البيرة ، يا لارى .

كريس : وسكى - من الرقم الثانى .

لارى : (وهو يأتيهما بالشراب) سأخذ سيجارا على حسابك ! .

كريس : (رافعا كأسه) صحتك ! (يشرب) .

جونى : وصحتك أيضا .

كريس : (فى الحال) خذ كأسا أخرى على حسابى .

جونى : لا . لا أريد هذا الآن . آن لى أن اذهب الى البيت . واذا
فقد وصلت الآن فقط . وأين كنت قبل الآن ؟ .

كريس : فى نورفولك ، كانت رحلتنا بطيئة ، وكان الجو نحسا ،
ضباب ، فى ضباب ، فى ضباب ! .

كان هكذا طوال الوقت (يدق جرس مدخل باب
العائلة ، من الغرفة الخلفية ، دقا متواصلا ، كريس يهم
بالقيام اليه مسرعا) أنا افتح الباب يا لارى ، لقد نسيت،
انها مارثى ، وقد جاءت معى (يذهب الى الغرفة الخلفية) .

لارى : (بضحكة خفيفة) مازال يعيش مع تلك البقرة نفسها!
يا للشيخ الاحمق ! .

جونى : (متكلفا الابتسام) كريس انسان طيب . انا ذاهب الى البيت ، وداعا (يسير متجها نحو باب الشارع) .

لارى : مع السلامة ايها الرئيس .

جونى : أوه - لا تنس أن تعطيه رسالته .

لارى : لا ! ما انا بناسيها (يخرج جونى . وفي الوقت نفسه يفتح

كريس باب مدخل العائلة ، فتدخل مارثى ، وهى بين الأربعين والخمسين من العمر ، ذات وجه « ملفد » مرقش ، وأنف كبير أحمر تشابكت فيه خطوط الأوعية الدموية الأرجوانية . وشعرها الكثيف الأشيب مجموع على شكل كومة ، وضعت كيفما اتفق فى قمة رأسها المستدير . وراحت بقوامها السمين المترهل ، تتنفس بصوت له أزيز مسموع . كانت تتكلم بصوت عال ذى نبرة رجالية ، يتقطع بضحكات متفجرة مبحوحة على أنها قد بقى فى عينيها الزرقاوين الملهبتين بريق فيه شهوة الشباب ، التى لم يستطع العرف القاسى أن يطفئها فيها روح الفكاهة والسخرية ، ولكن بمزاج معتدل لطيف .

ترتدى قبعة رجالية وسترة رجالية ذات صفين من الأزرار وتنورة مخملية متسخة . وقدمائها العاريتان قد غطيتا بحذاء رجالى واسع ، للدرجة جعلها تمشى بخطا غير متزنة .

مارثى : (بتذمر) ما الذى تريده بعملك ايها الرجل اذ تتركنى منتظرة طول النهار هناك ؟ (تتقدم وتجلس على النضد فى الزاوية اليمنى من الأمام) .

كريس : (بلطف) أنا آسف يامارثى ، تحدثت مع جونى ، ونسيته . ماذا تشربين ؟ .

مارثى : (وقد سكن غضبها) هات مغرفة من « البيرة » ، بيرة اللاجر والايل .

كريس : سأتيك بها (يرجع الى البار) بيرة اللاجر والايل لما ربي ،
يالارى . كأسا من الوسكى لى (يرمى قطع النقود على
البار) .

لارى . لك ما تحب (ثم متذكرا - يأخذ الرسالة من خلف
البار) هذه رسالة لك من « سنت پول » فى ولاية
« منيسوتا » ، وخطها خط امرأة .

كريس : (يأخذها على عجل) واذا ، فالرسالة من ابنتى أنا ! انها
تسكن هناك ! .

(يقلب الرسالة فى يديه كالشاك فيها) لم اتسلم رسالة
- منذ سنة - من أنا .

لارى : (هازئا) هذه أسطورة لطيفة ، يمكن أن تحكى ، - ابنتك!
أراهن أن هذا حديث خرافة .

كريس : (وقد ثاب الى عقله) لا هذه الرسالة جاءتني من أنا
(مأخوذا بالرسالة فى يده ثم شاكا) أقسم اننى ثمل
لدرجة لا أستطيع معها قراءة رسالة أنا .

أرى الأولى بى أن أستريح دقيقة . هات لى الشراب الى
الغرفة الخلفية، يالارى (يذهب الى الغرفة، على اليمين) .

مارثى : (فى غضب) أين الشراب الذى طلبته ؟ بيرة اللاجر والايل
أيها الثقيل ! .

كريس : (مشغول البال) لارى ، هاته لها (يجلس مقابلا لها ،
لارى يأتيهما بالشراب ، ويضعه على النضد ويتبادل التحية
مع مارثى بهز الرأس ، لارى يقف ناظرا الى كريس بفراصة،
مارثى تأخذ جرعة كبيرة من كأسها وتتنهد تنهدة تنم عن
الرضا ، ثم تمسح فمها بظهر كفها ، كريس يحدق فى
الرسالة لحظة - يفتحها ببطء ويأخذها بعينيه ويأخذ

فى قراءتها بصعوبة ، تتحرك شفـتاه ، وهو يتـهـجى الكلمات ،
و حال يقرأ يشرق وجهه منفـعـلا بمزيج من السرور
والحيرة) .

لارى : أخبار سارة ! .

مارى : (تحب أن تستطلع الأمر ، ما هذا الذى عندك ؟ رسالة !
يا الله ! .

كريس : (يسكت برهة بعد أن ينتهى من قراءة الرسالة ، كأنه
يريد أن يجعل الأخبار تستقر فى نفسه ، ثم يضرب فجأة
بقبضته على النضد ، وقد تهلل من الفرح) أحسب -
والله - أن أنا تقول : انها قادمة فى الحال الى هنا ، تقول
انها سئمت عملها ، ومرضت فى " سنت پول " . ان
الرسالة قصيرة ، وهى لا تخبرنى بأكثر من هذا (يشرق
وجهه) والله هذه أخبار سارة لشيخ مثلى (يلتفت الى
مارثى ، وكأنه قد خجل) تعلمين يامارثى ، أننى قلت
لك انى ، لم أر ابنتى أنا ، منذ أن كانت طفلة صغيرة فى
السويد ، منذ أن كان عمرها خمس سنوات .

مارثى : كم يكون عمرها الآن ؟ .

كريس : يكون عمرها - دعينى أتذكر - يكون عمرها عشرين سنة
... أوه ... أوه .

لارى : (دهشا) لم ترها منذ خمس عشرة سنة ؟ .

كريس : (وقد أخذته الكآبة - فى صوت منخفض) لا ، حين
كانت طفلة صغيرة كنت رئيسا للملاحين فى سفينة
شراعية ، ولم أذهب الى بيتى الا مرات قليلة فى تلك
السنين أنا بحار سخيـف . وامراتى - أم أنا ، قد طال
انتظارها فى السويد حتى ملت الانتظار ولم أعد اليها .

ثم جاءت الى هذا القطر ، وجاءت بأنا معها ، وذهبت الى « منيسوتا » لتعيش مع أبناء خالها في المزرعة ، وحين ماتت أمها ، وكنت في سفرة بحرية ، رأيت أولى لأنا أن تبقى مع أبناء خالها ، تعيش في المزرعة لاتعرف شيئا عن البحر ، ذلك الشيطان اللعين ! ولا تعرف أبا مثلى .

لارى : (وهو يغمز مارثى بعينه) هذه الفتاة من المحتمل أن تتزوج بحارا . ان حب البحر والبحارة في دمها .

كريس : (يقفز بغتة على قدميه ، ويضرب النضد بقبضته في غضب متناه) لا - والله - لن تفعل هذا ! .

مارثى : (تأخذ شرابها بسرعة - وبغضب) أنظر أيها الأحمق ، أتريد أن تقلب كأسى وتريق شرابى ! ؟ .

لارى : (دهشا) أوه ! ما الذى دهاك ، ألسنت - وما زلت - بحارا ؟ .

كريس : (ببطء) نعم ، ولذا لا أريد لها ذلك (متكلفا الابتسامة) البحار انسان لا بأس به ولكنه لا يصلح زوجا لفتاة ، أنا أعرف هذا ، وام أنا تعرف هذا أيضا ! .

لارى : (بينما يظل كريس غارقا في تصوراتهِ السوداء) متى تأتى ابنتك ؟ حالا ؟ .

كريس : (يتحرك) - والله - لقد نسيت (يقرأ الرسالة مسرعا) تقول انها آتية في الحال ، وهذا كل ما فى الرسالة .

لارى : قد تأتى الى هنا لتبحث عنك ، على ما أظن (يرجع الى البار - وهو يصفر . يظل كريس وحده مع مارثى ، وهى تحديق فيه ، وقد بدت سخريتها منه فى عينيها ، كريس يضيق بالبقاء ، فينهض مسرعا) .

كريس : يجب ان اكلم لارى ، وسأعود حالا (بلطف) وسأتيك بكأس أخرى .

مارنى : (وقد أفرغت كأسها) وهذه كأسى (وحين يذهب الى البار بكأسها تنفجر ضاحكة خلفه ساخرة منه) .

كريس : (يهمس الى لارى بحذر) على أن أبعد مارنى عن الشاطئ قبل أن تأتي أنا . وأنا استدعو ويلا وثبورا على ان هى راتها ، ومارنى ستفعل مثل هذا ان سألتها الذهاب . يا الله ! .

لارى : (بضحكة خافتة) هذا ما تستحقه أيها الشيطان الهرم .
تصاحب امرأة وانت فى هذا العمر .

كريس : (يحك رأسه حائرا) قل لى كذبة ، أقلها لمارنى ، يالارى ، لتبتعد عن السفينة بسرعة .

لارى : تعرف ان ابنتك آتية ، قل لها تبتعد عنك وتتركك .

كريس : لا فانى لا أريد أن أسىء اليها .

لارى : أنت شيخ رقيق العواطف . أبعد ابنتك اذا عن السفينة ربما فضلت هى أن تبقى بعيدا عن الشاطئ (باستغراب)
ماهو شغل ابنتك أنا هذه ؟ .

كريس : لقد بقيت تعمل فى مزرعة أقربائها الى ما قبل سنتين ثم اشتغلت مربية أطفال فى « سنت پول » (ثم يهز رأسه بعنف) لكننى لا أريدها أن تشتغل الآن ، أريدها أن تبقى معى .

لارى : (باحتقار) فى سفينة شحن الفحم لا أظنها تحب هذا ! ؟

مارنى : (صائحة من الغرفة المجاورة) الا تأتي بتلك الكأس التى وعدتني بها ؟ .

كريس : (مرتبكا خائفا) نعم هأنذا آت يامارثى .

لارى : (يسحب كأسين من البيرة ، الايل واللاجر ، يسلمهما الى كريس - ضاحكا) أنت فى مأزق الآن وأولى أن تصارحها ، لتخلص ! .

كريس : (مرتجفا الى أخمص قدمه) أى والله ! (يأخذ الشراب الى مارثى ، ويجلس معها مع النضد ، تحتسيه وهى تذوقه ساكتة . يتحرك لارى بهدوء حتى يقترب من الحاجز يستمع ، وهو متوقع أمرا . كريس يهم بالكلام ، ثم يتردد ويحتسى شرابه مرة واحدة كأنه يتلمس الشجاعة فيه . يحاول أن ينغم بصفيhre مقطوعة « جوزفين » ، متظاهرا بالشجاعة وعدم الاكتراث ، ولكن الصفيهر يتلاشى من غير أن يحدث النغم . مارثى تنظره شزرا ، فتشير اشارة السرور الى ماتراه من ارتبأك وحيرته . كريس يتنحى (مارثى .

مارثى : (بعنف) ما هذا ؟ (ثم تحاول أن تظهر بمظهر الغضبى فى حين أن السرور يبدو فى عينيها ، وهى تنظر الى كريس حائرة) اننى على بينة مما يدور فى رأسك أيها الثقيل ! انك تريد أن تتخلص منى وتبعدنى عن الشاطئ . عساهم يخبرونك بأن ليس بين أهل أسكندنافية ، الذين يعملون فى السفن من يستطيع أن يبلغ ذلك ، فعليك ألا تبدأ بما لا تستطيع انجازه .

كريس : (بحيرة وارتباك) ما أنا ببادىء بشيء ، يامارثى .

مارثى : (تحمق فيه لحظة ، ثم لا تستطيع أن تسيطر على نفسها دون أن تنفجر ضاحكة) ههو - ههو ! أنت أيها الاسكندنافى السخيف ، الذى يهزأ به الناس ويضحكون

منه ! ههو - ههو (يسمع لنفسها أزيز ، وهى تلهث
لتتنفس) .

كريس : (فى غضب كغضب الأطفال) أنا لا أرى ما يضحك منه ! .

مارنى : عليك بنظرة فى المرآة وسترى ! ههو (تسيطر على نفسها
فتضحك ضحكا مكتوما بازدراء) رجل عنيد سخييف من
اسكندنافية ، يحاول أن يسخر من مارنى اوين فى أخريات
الأيام - بعد أن عاشرت رجال البواخر فى العشرين الأخيرة
من الأعوام . اننى على بينة من لعبتك ، وقد أخذت لها
الآهبة ، من فوق ، ومن تحت ، ومن سائر النواحي
والجوانب أيضا ! اننى لم أكن قد خلقت لأجر الى جبهة
النهر لقاء لا شىء . اتظن انى أثور على هذا وأخلق
المتاعب ؟ لا ، لست أنا الذى يفعل هذا ، سأحزم أمتعنى
وملابسى وأرتحل عنك ، وأخليك ، وأقول لك : ان نفسى قد
ملتك وعافتك ، وسأتخلى عنك وأتركك . أرايت الى
هذا ؟ وهنالك اشخاص آخرون كثيرون فى سفن الشحن
الأخرى ينتظروننى ، ولقد كانوا - وما زالوا - كثيرين ،
(تضرب كريس ، وهو ذاهل مستغرب ، على ظهره) واذا
فافرح أيها الهولندى فسأغادر السفينة قبل أن تجيء
إليك ، وستكون قد تخلصت منى الى الأبد . وأكون قد
تخلصت منك أيضا وما أحسنه خلاصا لنا معا ! ههو ههو ! .

كريس : (جادا) اننى لم افكر فى هذا . ولقد كنت فتاة طيبة
يا مارنى :

مارنى : (كالحة) فتاة طيبة ! فتاة طيبة ! لا تحاول أن تتملقنى .
لقد تعاملنا بالحسنى ، لم تجر على ولم أجر عليك .
وسنفترق ولا يكون فى نفس أحدهنا شىء من الحقد

على صاحبه ، وسنظل صديقين حميمين ، أليس كذلك؟
(يعود لارى الى البار) .

كريس : (يرى متاعبه تولى ، فيستبشر ويفرح) أى نعم ، والله ! .

مارثى : على هذا النحو يكون الكلام ! وانى - فى حياتى كلها -
لم أحاول أن أنفصل عن صاحب ، بأن أؤذيه أو أجرح
شعوره . ولكن الذى كنت تخشاه هو أن أجرك الى
مشاجرة وعراك .

لا هذه ليست شيئى (باحتقار) اتظن ان قلبى سينفطر
لفراقك أو ضياعك أنتحر أو أقتل نفسى ؟! هو هو !
يا آلهى ، لو أنى شغلت بالى بالرجال وحدهم لاسترحت؛
لأن العالم مملوء بالرجال (ثم بتمتمة بعد أن تفرغ كأسها)
املا لى كأسى مرة أخرى وسأشربها على صحة ابنتك .

كريس : (برغبة ولهفة) سأفعل ، وسأتيك بها (يأخذ الكأسين
الى البار) املا الكأسين مرة أخرى، بمثل ما كان فيهما من
قبل .

لارى : (يملأ الكأسين ويعيدهما على البار) انها لم تكن سيئة ،
شأن الكثيرات منهن .

كريس : (فرحا) لقد - والله - قلت لك انها فتاة طيبة ، وهانذا
احتفل الآن ! اعطنى كأسا من « الوسكى » ، هنا على
البار أيضا (يضع النقود ولارى يأتيه بما يطلب) وخذ
لك كأسا على حسابى يا لارى .

لارى : (بعفة) أنت تدري أننى لم أمسسه .

كريس : انك لا تدري ماذا أضعت ، صحتك (يشرب - ثم يأخذ
فى الغناء بصوت عال) « جوزفين يا حبيبتى هيا الى ظهر

السفينة » - (يتناول الكأسين ، كأس مارثى وكأسه
ويمشى مترنحا الى الغرفة الخلفية وهو يغنى) .
« لقد اشرق القمر ، وهو يحكيك حين يشرق .

شى - شى ، شى - شى ، شى - شى ، شى - شى » .

مارسى : (متممة ويداها على اذنيها) يا الهى ! .

كريس : (يجلس) أنا مغن كبير . نعم . ألا نشرب ؟ صحتك ! اننى
أحتفل ! (يشرب) أحتفل بمجىء أنا الى . تعرفين يامارثى ،
اننى لم أكتب اليها بالمجىء ، لاننى اعتقدت اننى لا أصلح
لها ، ولكننى كنت أبدا اتشوق لرؤيتها ، وأرجو أن تشناق
لرؤيتى ، فتقدم يوما الى وهذا - والله - ما حدث اليوم
(وجهه يتألق بالبشر) ما ترينها تشبه يا مارثى ؟ اننى
أراهن أنها فتاة لطيفة ، قوية ، جميلة - جميلة ، وان
عيشها فى المزرعة أسبغ عليها هذه الصفات . وأراهن
انها ستتزوج - يوما ما - رجلا من الشرق يعمل فى
الأرض ، لا فى البحر ويكون لها بيت وحدها ، ثم يكون
لها أطفال - وأكون أنا حينذاك جدهم الشيخ ، أى والله
فأذهب الى زيارتهم كلما جئت الى الميناء قريبا منهم
(يغمره الفرح) أى والله . أنا أحتفل بهذا (يصيح عاليا)
كأسا أخرى يالارى (يضرب عنيفا بقبضته على النضد) .

لارى : (آتيا من البار - منفعلا) على مهل ، لا تكسر النضد أيها
التيس العجوز .

كريس : (يتهيا للجواب - يتمم تميمة الأطفال ، ثم يأخذ فى
الفناء) . جوزفين ، يا حبيبتي - هيا الى السفينة .

مارثى : (تأخذ بذراع كريس محاولة استمالته) لقد غطست

بالشراب الى اذنك ايها الرجل من اسكندنافية، اذهب ؛
واملاً جوفك بشيء من الطعام ، وستصحو ، وتنفض
السكر عنك (وحين يهز كريس رأسه معانداً) استمع
الى ايها الشيخ الأحمق ! انك لا تدري متى تقدم طفلك
وأنت تريد أن تلقاها صاحباً ، اليس كذلك ؟ .

كريس : (ينهض - يقف مترنحاً على قدميه) نعم والله .

لارى : هذا اقتراح معقول . قطعة جيدة الطبخ من لحم البقر
قد تعيدك الى صوابك ، فعليك بها ، وراء هذه الزاوية .

كريس : أى نعم ، وسأعود اليك فى الحال يامارثى (كريس يجتاز
البار خارجاً من الباب المطل على الشارع) .

لارى : سيعود وفى جوفه شيء من الطعام .

مارثى : نعم (لارى يعود الى البار ، فيستأنف النظر فى جرائده ،
مارثى تحتسى ما بقى بكأسها من شراب صامته متفكرة .
يسمع صوت الجرس فى مدخل باب العائلة ، لارى يسرع
اليه ويفتحه قليلاً ، ثم يفتح على مصراعيه ، وقد كست
الحيرة وجهه . تدخل أنا كريستوفرسن ، وهى فتاة
شقراء طويلة ، مكتملة الجسم ، فى العشرين من عمرها .
وقد ظلت جميلة ، رغم ما يبدو من أنها اندفعت اندفاع
الفتاة الطائشة المغامرة ، وهى الآن قد تدهورت صحتها ،
وظهرت فى هيئتها الدلائل الواضحة المشيرة الى أنها
كانت تتاجر بجسمها وقد لاحت بوجهها المكتسى بروح
الشباب السخرية بما فى الدنيا من وراء ما وضع فوقه
من أصباغ وتبرج كاذب . أما ملابسها ، فهى من هذا
النوع الرخيص السمج فى زركشة ، وهو لباس الفلاحة
تنقلب عاهراً . تدخل وترمى بنفسها وهى متعبة فى كرسى
بجانب النضد ، على الجانب الأيسر) .

أنا : أعطني كاسا من «الويسكى» ممزوجا بالجنجرايل (و حين
بلفت لارى ذاهبا تبسم له ابتسامتها التجارية) ولا تكن
شحيحا أيها الفتى .

لارى : ا منبكما ، أتربدينه فى اناء كبير ، فى « سطل » ؟ .

أنا : (بضحكة عالية) هذا انسب ما يكون عندى (يذهب
لارى الى البار . نحدق الفتاتان الواحدة فى الأخرى
بنظرات واضحة صريحة . لارى ياتى بالشراب فيضعه
امام أنا ويعود الى البار ، أنا تحتسى كاسها بجرعة واحدة ،
و حين يأخذ الشراب يفعل فعله فيها ، تلتفت الى مارثى
ونبسم اليها ابتسامة الصديق) يا ... ما أحوجنى الى
هذا ! ما أحسنه ، ما أحسنه ! .

مارثى : (تهز رأسها كأنها تشاركها فى مشاعرها) نعم ، يبدو عليك
ذلك . ان التعب قد بدا عليك حتى كأنك كنت فى سهر
متعب .

أنا : لا - انه السفر ؛ يوم ونصف يوم فى القطار ، وكان على
أن أقضى الليل كله جالسة فى عربة قدرة أيضا .

يا الهى لقد تصورت أننى لا أستطيع أن أصل الى هنا أبدا !

مارثى : (فزعة تنظرها نظرة الفاحص) ومن أين جئت ؟ .

أنا : من « سنت پول » فى ولاية « منيسوتا » .

مارثى : (محدقة فيها بحيرة وعجب - ثم بصوت هادىء) واذا
أنت (ثم تنفجر بضحكة تهكمية فظة) . يا الهى .

أنا : فى طريقى من ولاية « منيسوتا » (تحدق فيها) علام
تضحكين ؟ على ! ؟ .

مارثى : (مسرعة فى الرد) لا والله يا صغيرتى الحبيبة ، وانما هى
أمور أخرى تدور بخاطرى .

أنا : (وقد طابت نفسها للجواب - بابتسامة) حسن ، واذا
فأنا لا ألومك على هذا ، يبدو أننى فى حالة رئة مزرية -
اننى غادرت المستشفى منذ أسبوعين فقط . سأطلب
قدحا آخر من الشراب ، فهل لك أن تطلبى على
حسابى قدحا ؟ .

مارثى : نعم سأفعل ، واشكرك (تصيح) هيا يالارى الينا (يدخل).
أنا : قدحا آخر مثل هذا .

مارثى : وقدحا آخر مثل هذا (يتناول لارى كأسيهما ويخرج) .

أنا : لم لا تفضلين بالجلوس هنا ، وتكونين اجتماعية . ان
الوحدة تكاد تقتلنى فى هذه المدينة - وانى لم أفه بكلمة
مع انسان منذ أول أمس .

مارثى : هذا صحيح (تنتقل الى نضد أنا وتجلس فى مواجهتها
لارى يأتى بالشراب فتدفع أنا الثمن) .

أنا : صحتك (تشرب) .

مارنى : سعادتك (تأخذ جرعة من كأسها) .

أنا : (تتناول أول علبة من السجائر ، من حقيبتها) هم
يسمحون بالتدخين هنا ، أليس كذلك ؟ .

مارثى : (مترددة) نعم ، ترمينها ، اذا لمحت بعض الناس يدخل.

أنا : (تشعل سيجارة وتتخذ منها نفسا عميقا) يا الله ! يبدو
لى أنهم فى جلبة ولغط فى هذا المكان المزعج . أليس كذلك
(تنفخ الدخان ناظرة الى سطح النضد ، مارثى تتطلع
اليها ، ثم تتفرس فى وجهها ، ناظرة بدقة الى قسماته
وملامحه . انا تلتفت فى الحال الى تلك النظرة التى يقصد

بها تقدير مالها من مال وجمال ممتعة) اترين في
ما لا يليق ؟ يبدو لى أنك تطيلين النظر الى ؟ .

مارنى : (متأثرة بالجلبة حولها - بازدرء) ليس لى أن أطيل
النظر ، ولقد عرفتك من أية طبقة أنت ، لحظة دخلت
الى هنا .

أنا : (تغمض عينيها بعض الاغماض) ماذا دهاك ؟ وانا قد
عرفتك ايضا ، وبغير عناء . انك تكبريننى بأربعين عاما،
نعم هذه أنت (تضحك ضحكة عالية) .

مارثى : (غاضبة) اهذا ما عندك ؟ اقول لك صراحة يا صغيرتى ،
بأن مارثى اوون ليست أبدا . . .

(تقطع حديثها لحظة - ثم تتمم) علام نتماحك في هذا؟
الا ترين أن تكف عن مثل هذا الحديث ! انا لا أريد أن
اجرح شعور انسان (تمد يدها اليها) هيا نتصافح
ونضرب صفحا عن هذا .

أنا : (تصافحها مسرورة) أنا مسرورة جدا بهذا اننى لا أقصد
الى الاساءة ، دعينا نطلب كأسا أخرى ، ما رأيك ؟ .

مارنى : (هازة رأسها) لا أريد لقد اكتفيت . وأنت ألسيت بلا
طعام من مدة ! ؟ .

أنا : ما أكلت منذ صبيحة هذا اليوم ، فى القطار .

مارثى : اذن أولى بك أن تتمهلى فى الشراب ، اليس كذلك ؟ .

أنا : (بعد أن تتردد لحظة) أحسبك على صواب فيما قلت ،
ولا سيما وأنا موشكة أن ألقى بعض الناس ولكن ما العمل
وأعصابى توشك أن تنهار بعد هذه الرحلة الطويلة
المتعبة ! .

مارثى : قلت انك تركت المستشفى منذ امد قصير ؟ .

أنا : منذ أسبوعين (تتكىء على مارثى - تتحدث اليها حديث الصديق) ان المحل الذى كنت به خارج سنت بول ، كان قد هاجمته الشرطة ، وكانت هذه هى البداية ، وقد حكم القاضى على كل منا نحن الفتيات ، بثلاثين يوما فى الحبس ، ولم يكن من الصعب على الفتيات الأخريات ان يحتملن . لأن بعضهن كن قد اعتدنه ، اما أنا فلم أطقه ولم أستطع ان آكل او أنام او اننى لم أطق ان أكون سجينه فى قفص . وقد رأونى طيبة ومرضت فلم يكن بد ، من ان أرسل الى المستشفى . كانت اقامتى فيه لطيفة ، حتى اننى أسفت حين غادرته .

مارثى : (بعد أن تتوقف لحظة) وهل قلت . ان عليك أن تقابلى انسانا ما هنا ؟ .

أنا : نعم ، لا ، انه لم يكن ما خطر ببالك . أبى الشيخ هو الذى أريد مقابله . أقسم ان هذا غريب أيضا . اننى لم أراه منذ كنت طفلة ، بل اننى لا أعرف شكله ولا هيئته ، وكل صلتى به هو أننى أتسلم رسالة منه بين الحين والحين . وهذا هو العنوان الوحيد الذى أعطانيه لأكتب اليه . انه الآن بواب عمارة ، وقد كان بحارا من قبل .

مارنى : (مستغربة) بواب عمارة ! ؟ .

أنا : نعم هو ذاك ، أنه لم يعن فى حياتى كلها بشيء ، وقد بدا لى أنه ربما ود لو يؤوينى فى غرفة ، فأظل آكل حتى أستريح (تعبئة ضجرة) يا الله ! ما أحوجنى الى تلك الراحة ! اننى منهارة منهزمة (تعود الى نفسها) على اننى لا أتوقع الكثير منه . انه يركلك برجله حين يرى إلا فائدة فيك . وهذا ما يفعله الرجال كلهم (ثم فى انفعال مفاجيء)

الرجال ، انا اكرههم ، اكرههم كلهم ، واننى لا اتوقع ان يكون هو خيرا من الآخرين . (ثم بسرور مفاجىء) اقول . هل تتردددين كثيرا الى هنا ؟ .

مارى : اوه ! بين الآونة والآخرى .

أنا : واذن ربما تعرفينه - والذى الشيخ - او على الأقل ربما رأيته .

مارى : انه الشيخ كريس ، أليس كذلك ؟ .

أنا : الشيخ كريس .

مارى : كريس ، كريستوفرسن ، هذا اسمه الكامل .

أنا : (منفعلة) نعم ، هو ذا . وأنا كريستوفرسن هو اسمى الحقيقى - على اننى فى الخارج اسمى نفسى انا كريستى ، واذن فأنت تعرفينه ! .

مارنى : (تروغ فى الحديث) كنت أراه من سنين .

أنا : قولى لى أرجوك ، حدثينى عن حاله وهيئته .

مارثى : اوه ، انه قصير ، و ...

أنا : (ينفذ صبرها) اننى لا يعنينى ان أعرف ماذا يشبه ، او ما هيئته - ولكنى أريد أى صنف من الرجال هو ؟ .

مارثى : (بجذ ورزانة) نعم ، تستطيعين يا صغيرتى ان تأمنى على حياتك بالعيش معه ، انه كأحسن ما يكون انسانا يمشى على قدميه لطافة وطيبا . أجل . انه كذلك .

أنا : (وقد سرت بما سمعت) يسرنى ان أسمع هذا ، واذن أتظنينه يحقق لى الراحة التى أنشدها بعد المرض ! ؟ .

مارى : (بلهجة التوكيد) وسيكون لك هذا بغير شك (ثم باشمئزاز) ولكن كيف عرفت انه كان بوابا ؟ .

- أنا : لقد كتب لي هو بذلك .
- مارني : نعم ، انه كان كاذبا في هذا ، انه لم يكن كذلك ، ولقد كان رئيسا للملاحين في سفينة شحن ، وكان خمسة رجال تحت امرته .
- أنا : (مشمئزة مما سمعت) سفينة شحن ! ؟ أى نوع من سفن الشحن هذى !
- مارني : سفينة لشحن الفحم غالبا .
- أنا : سفينة لشحن الفحم (بضحكة عالية) ما احسن ان تجدى اباك الشيخ الذى اضعته طويلا يشتغل في هذا . يا الله ! لقد عرفت شيئا قد يقلب ما تصورته ، وما اكثر ما يحدث لي هذا ! ان تصورى انه سيريحني قد نحيت جانبا .
- مارني : ما الذى تعنيه بهذا ؟ .
- أنا : احسبه يعيش في سفينة ، اليس كذلك ؟ .
- مارني : نعم هو كذلك ، وماذا في هذا ؟ الا يمكنك ان تعيش معه ايضا ؟ .
- أنا : (باحتقار) انا في سفينة قذرة لشحن الفحم ! هذا ظنك بى ! ؟ .
- مارثى : (ممتعضة) وما الذى تعرفينه عن سفن الشحن ؟ اراهن انك لم يسبق لك ان رايت واحدة منها . وقد فضل هو أن يربيك في البر - بعيدة عن البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ، حيث تكونين آمنة . يا الهى ! (يوقظ التهمك عاطفة الضحك فتضحك ضحكة فظة) .
- أنا : (غاضبة) تربيته لي ! وهل هذا هو ما يخبر به الناس ؟

ما أقدره على ضبط أعصابه ! لقد تركنى عند إنشاء خالى فى مزرعتهم ، وقد أرهقونى بالعمل حتى كدت أن أموت ، ميتة كلب .

مارسى : نعم ، وقد كون له آراء غريبة عن بعض الأمور . لقد كنت أسمعه يقول أن المزرعة خير مكان يربى فيه الطفل .

أنا : حقا وهذا ما كان يرد به على رسائلى دائما . هذا وجملة من الآراء السخيفة حول البقاء بعيدا عن البحر . آراء لم أعرف لها رأسا ولا ذنبا ، حتى لقد ظننته مخبولا أو معتوها .

مارسى : انه لكذاب فى هذا الأمر (تتحدث عرضا) ولذا لم تترك حياة المزرعة ؟ .

أنا : يجب أن أقول : لا . كان فى المزرعة صاحبها الشيخ ، وزوجته ، وأولاده الأربعة ، وكنت أقوم بما يقوم به العبد المملوك ، لكل منهم . كنت فقيرة مسكينة من أقربائهم ، وكانوا يعاملوننى بأقصى واقبح ما يستطيعون أن يعاملوا به فتاة أجيرة (وبعد أن تسكت لحظة - بكآبة) وكان أحد أولادهم ، وهو ، الأصغر ، قد اعتدى على حين كنت فى السادسة عشرة . ولقد كرهتهم بعد ذاك . حتى لوددت أن أقتلهم جميعا ، لو أننى بقيت معهم . ولذلك هربت بعيدا عنهم - الى (سنت پول) .

مارسى : (وكانت تصفى إليها بعاطفة) لقد سمعت الشيخ كريس يقول : انك كنت مربية هناك ، فهل كانت هذه حيلة منك كتبت بها إليه ! ؟ .

أنا : لا وحياتك ، هذا لم يكن . كان هذا صحيحا لسنتين ، اننى لم أسر فى طريق الغواية دفعة واحدة - لقد قضى على أن أكون مربية فصرت أعنى بأطفال الناس ، فأستمع دوما الى بكائهم وصراخهم . هذا كله فى حين اننى أنا

نفسى كنت طفلة ، وكنت أحب ان أخرج واتفرج . وأخيرا
كانت لى الفرصة ، فى ان أصل الى ذلك البيت ، وكونى
على يقين بأن هذه كانت فرصة انتهزتها (متحدية) بل
اننى غير آسفة على ما كان أيضا (تتوقف لحظة - ثم
فى كره شنيع) كان هذا كله جرم الرجال وذنبهم . كان
الرجال فى المزرعة يأمرؤنى ويضربوننى - وهم الذين
ابتدأوا معى تلك البداية الشنيعة . وحين صرت مربية ،
عاد الرجال مرة أخرى يحومون حولى يضايقوننى
ويحاولون أن يحصلوا على ما يستطيعون الحصول عليه
منى (تضحك ضحكة عالية) والآن هم الرجال أبدا أبدا .
يا الهى ! أنا أكرههم جميعا ، أكره كل ابن انثى منهم .
ألسنت أنت كذلك ؟ .

مارثى : أوه ! أنا لا أدرى . فيهم البر وفيهم الفاجر ، يا صغيرتى .
لقد جربت حظك السيء معهم وهذا كل ما فى الأمر . ان
أباك الشيخ الآن - الشيخ كريس رجل بر .

أنا : (شاكة) عليه أن يثبت لى ذلك .

مارثى : وظللت تكتبين اليه أنك مربية أطفال ، حتى بعد أن صرت
فى ذلك البيت ، أليس كذلك .

أنا : نعم ، (ساخرة) ولا أظنه يهمه هذا .

مارثى : أنك مخطئة فيما تظنينه به يا صغيرتى (برزانة) اننى
أعرف الشيخ كريس منذ مدة طويلة ، وكثيرا ما حدثنى
عنك . وكان يظن أنك خير ما فى العالم . صدقيني انه كان
كذلك .

أنا : أوه كفى استخفافا وهزاء .

مارثى : أقسم لك انه شيخ سمح ساذج . أرايت ؟ قد تكون له آراء غريبة خاطئة ، ولكنه لم يقصد الا الى الخير .

اصغى الى ، يا صغيرتى (تقطع كلامها حين تشعر بباب البار الذى على الشارع يفتح ويطبق ، وبصوت كريس الذى تسمعه) اس اس .

أنا : ما بك ؟ .

كريس : (يدخل الى البار - ويبدو صاحيا غير سكران) أى والله يا لارى ، كانت تلك اكلة شهية . هل عادت مارثى ؟ .

لارى : نعم - ومعها عيارة أخرى أيضا (كريس يتجه الى مدخل الغرفة الخلفية) .

مارثى : (تهمس بسرعة وانفعال الى أنا) ها هو ذا الآن . انه آت الى هنا فتأهبى .

أنا : من هو ؟ (كريس يفتح الباب) .

مارثى : (وكأنها تحييه للمرة الأولى) ، أهلا وسهلا ، بالشيخ كريس (وقبل ان يتكلم ، تنتقل من مكانها بسرعة ، فتقدمه مومئة اليه ان يتبعها) تعال هنا ، أريد ان ازف اليك خبرا (يمضى اليها فتسرع فى الهمس اليه) استمع الى ، أنا ذاهبة الى السفينة ، لأجمع أمتعنى وأبتعد . انها هى التى هناك - فتاتك أنا - جاءت الآن وهى فى انتظارك . أحسن معاملتها ، أسمعت ؟ لقد كانت مريضة . والآن وداعا ومع السلامة (تعود الى الغرفة الخلفية الى أنا) وداعا يا صغيرتى .

آن لى ان اذهب الآن ، وعساى ألقاك فيما بعد .

أنا : (منفعلة) وداعا ، وداعا ! (مارثى تسرع خارجة من مدخل العائلة) .

لارى : (وهو ينظر الى كريس الذى يدا كمن اضاع رشده -
بعجب) حسن ، وما بك الآن ؟ .

كريس : (بصوت غير واضح) لا شيء - لا شيء (يقف أمام الباب
الموصل الى الغرفة الخلفية ، فى ثورة من الانفعال
شديدة - ثم يرغم نفسه على قرار حازم ، يدفع الباب
فينفتح ، ويخطو الى الداخل . يقف هناك ، ينظر فى
شئ من الخجل الى أنا ، وقد حيره واخافه ما رأى من
ملابسها البراقة ، وهيئتها الجذابة . كان ينظر الى نفسه
نظرة فيها الشفقة والانفعال ، حتى كأنه كان يجنب نفسه
نظراتها الفاحصة التى تنفذ بها الى وجهه ، وملابسه و ...
- يبدو صوته ، وكأنه يتوسل اليها) أنا !! .

أنا : (فى حيرة شديدة وارتباك) أهلا - أبى . لقد قالت لى
انك أنت - وقد وصلت الى هنا من مدة قصيرة .

كريس : (يتقدم ببطء الى كرسيها) ما أجمل أن أراك ، بعد هذه
السنوات الطويلة يا أنا ! (ينحنى عليها - وبعد ارتباك
وصراع عنيف يقبل كل منهما صاحبه) .

أنا : (فى صوت يشوبه شعور غير متكلف) وما أجمل أن أراك
أيضا ! .

كريس : (يلمس ذراعيها ، وينظر فى وجهها - ثم تغلبه موجة من
الرقّة) أنا - ليلا . أنا - ليلا (١) ! (يحتضنها بذراعيه) .

أنا : (تتراجع منكشّة منه - فى شبه ارتياح) ما هذا ؟
اللغة السويدية ؟ أنا لا أعرفها (ثم بهمة سريعة ، حتى
كأنها تلمس الراحة مما شعرت به) يا الله ! لقد كانت
رحلتى الى هنا رحلة مزعجة متعبة . كان على أن اقضى
ليلى كلها فى عربة قدرة . وتعذر على أن أنام ثم كان
(١) يعنى يا صغيرتى بالسويدية .

على بعد ذلك ان اهتدى الى هذا المكان . أنت تدرى اننى
لم يسبق لى أن جئت الى نيويورك من قبل ، و . . .
كريس : (وهو يحدق فى وجهها تحديقة المعجب ، حتى كأنه لم
يسمع ما قالت) .

أتدريين أنك فتاة جميلة يا أنا ، وانى - لأراهن أن الرجال
الذين يرونك كلهم ، يقعون فى حبك .
أنا : (نافرة مشمئزة - بعنف) كف عن هذا ! أنت تتكلم كما
يتكلم غيرك من الرجال ! .

كريس : (وقد آلمه ما سمع - بمسكنة) لا بأس ان يتحدث أبوك
على هذا النحو يا أنا .

أنا : (بتكلف ضاحكة ضحكة قصيرة) لا ، بالطبع لا . وانه لمن
الغريب أن أراك ولا أتذكر شيئاً . انك كالغريب .

كريس : (بكآبة وحزن) أحسب اننى كنت لا آتى الى البيت ، الا
مرات قليلة ، يوم كنت طفلة فى السويد . ألا تتذكرين هذا ؟
أنا : لا (بامتعاض) ولكن لم تكن تأتى هناك فى تلك الايام ؟ ولم
لم تأت أبدا الى الغرب لترانى ؟

كريس : (متمهلا) كنت أحسب ، بعد أن ماتت أمك وأنا بعيد
فى احدى رحلاتى ، أن من الخير لك ألا ترينى (يترامى
كئيبا فى كرسي مقابل لكرسيها - ثم يلتفت اليها حزينا)
انى لا أعرف يا أنا ، لم لم اذهب الى بيتنا فى السويد فى
السنوات الماضية . كنت أود أن اذهب الى بيتى عقب
كل رحلة . وكنت أريد أن أرى أمك ، وأرى أخويك قبل
أن يفرقا ، وكنت أريد أن أراك ، وقد ولدت حديثا -
ولكننى لم اذهب . لقد وقعت عقدا فى سفن ذاهبة
الى جنوب أمريكا ، وذهابة الى أستراليا ، وذهابة الى
الصين ، وذهابة الى كل مرفأ فى العالم - مرات عديدة -
ولكننى لم أركب سفينة تبحر الى السويد . وحين حصلت

من المال على ما يمكن ان ادفعه فأسافر راكبا احدى السفن - (يطأطئ رأسه كالمعترف بذنبه) نسيت ، و صرفت النقود كلها . و أدت هذا بخاطري مرة أخرى ولكن كان قد فات الأوان (يتحسر) اننى لا أعرف لم كان هذا ، ولكن هذه سبيل معظم البحارة ، يا أنا . انه البحر ، ذلك الشيطان اللعين ، يفريهم بحيله القدرة ، فيسلب رشدهم ، ويضيع صوابهم . وهذا هو شأنه وديدنه ! .

أنا : (وكانت تتفحصه بدقة وهو يتحدث - بصوت تظهر فيه نغمة الازدراء) واذن فأنت ترى ان البحر هو المألوم فى كل هذا ؟ حسن ، فأنت ما زلت تشتغل فيه ، اليس كذلك ؟ وتشتغل فيه رغم كل ما كنت تحدثنى عن كرهك له فيما تكتب الى . ان السيدة التى كانت هنا ، حدثتنى أنك رئيس للملاحين فى سفينة لشحن الفحم - على حين كتبت الى أنك بواب احدى العمارات .

كريس : (مرتبكا ، ولكنه يسرع فى الكذب) أوه ، لقد اشتغلت بوابا ، مدة طويلة ، ولم اشتغل بهذا الا حديثا ، لأننى كنت مريضا وكنت بحاجة الى الهواء الطلق .

أنا : (شاكة فيما قال) مريضا ؟ أنت ؟ ما من أحد يصدق أنك مريض .

كريس : وهذا العمل ، يا أنا، ليس بعمل ملاح كما يجب أن يكون الملاح ، وهذه السفينة التى أنا فيها ليست بسفينة حقيقية تعمل فى البحر ، وانما هى حوض قديم كبير - وهى تشبه ان تكون قطعة من الأرض - عليه بيت طاف... والعمل فيها لا يشبه العمل فى البحر ، لا . واننى افضل ان أموت يا أنا ، على ان اقوم بعمل فى البحر ، ولقد

اقسمت على هذا ، يوم ماتت أمك ، وسأبر - والله -
بقسمى .

أنا : (متحيرة) . حسن اننى لا أرى فرقا (تطرد موضوع
الحديث) واذ تحدثنا عن المرض ، اقول لك اننى كنت
مريضة ، ولم اغادر المستشفى الا منذ اسبوعين فقط .
كريس : (يلتفت فى الحال الى ما قالت) : انت يا انا ؟ - اى والله
(متشوقا) وهل تحسين الآن ان صحتك تحسنت ؟ يبدو
لى أنك ما زلت منهوكة بعض الشيء .

أنا : (بتعب) : نعم ، اوشك ان اموت تعباً ، اننى بحاجة الى
راحة طويلة ، ولا أرى الفرصة تواتبنى فى الحصول
عليها .

كريس : ماذا تعنين بهذا يا انا ؟ .

أنا : نعم ، حين حزمت امرى على ان اجيىء لرؤيتك ، كنت
احسبك بوابا - وكنت احسب انك بهذا يكون فى وسعك
ان تجد لى مكانا تؤوينى فيه معك ، فأزورك ريثما
أستريح وأعود الى عملى مرة أخرى .

كريس : (بلهفة وشوق) ولكن عندى مكان لك - مكان جميل !
وبوسعك والله ، ان تستريحى فيه ما شئت . وليست
بك - والله - حاجة بعد الى ان تشتغلى مربية مرة أخرى
أبدا . أريد - والله . ! - ان تظلى معى .

أنا : (مستغربة ، مسرورة مما رأت من لهفته - مبتسمة)
واذن ، فأنت مسرور حقا ان ترانى ؟ .

كريس : (يضغط احدى يديها بكلتا يديه) انا ! لقد قات لك اننى
أشوق ما اكون الى رؤيتك ، وأرجو الا اسمعك بعد الآن

تحدثين عن عمل لك . أريد أن تظلي معي ، وانك لم تنسى أنني لم أرك منذ أمد طويل طويل (بصوت مرتعش) أنني شخت وشبت ، وليس لي في الدنيا سواك .

أنا : (متأثرة بقوله - مرتبكة بما رآته من احساس غريب منه) شكرا ! جميل أن أسمع انسانا يتحدث معي على هذا النحو . أقول : إذا كنت تشعر الى هذا الحد بالوحدة - وهذا غريب : - لم لم تتزوج مرة ثانية ؟ .

كريس : (هازا رأسه - وبعد أن يسكت لحظة) أنني أحب أمك الى الأبد ! ولن أفعل هذا ، يا أنا .

أنا : (متأثرة - على مهل) أنني لا أذكر شيئاً عنها ، فهل لك أن تحدثني بشيء عنها ! ؟ .

كريس : سأحدثك بكل شيء عنها - وأود لو حدثتني بكل ما مر بك من أحداث ، ولكني لا أريد أن يكون هذا هنا الآن ، إذ ليس هذا بمكان يليق بفتاة مثلك أن تكون فيه ، وانك لا تجدين فيه الا ملاحا ، يجيء للشراب والسكر (يقف على قدميه بسرعة ، ويتناول حقيبته) تعالى معي يا أنا . انك بحاجة لأن تنامي وتنالي قسطك من الراحة .

أنا : (تهم بالوقوف على قدميها ، ثم تعود جالسة) الى أين تذهب ؟ .

كريس : تعالى ! الى ظهر السفينة .

أنا : (وكأن رجاءها قد خاب) على ظهر سفينة الشحن التي انت فيها ؟ (بجفوة) لا ، لست أنا التي تذهب (تراه ينظر نظرة الدليل المتوسل - فتكلف الابتسام) اتظن أن هذا مكان مناسب لفتاة شابة مثلي ! سفينة لشحن الفحم ؟ .

كريس : (متثاقلا) نعم ؟ أظن ذلك (يتردد لحظة - ثم يعاود الحديث برجاء متزايد) انك لا تدريين كيف تكون الحياة جميلة على ظهر السفينة يا انا ! ان يأتى المركب الذى يسحب سفينتنا الراسية ، فنذهب فى رحلة بحرية ، وأن تكون بها فنرى الماء من حولنا ، والشمس ، والهواء الطلق ، والطعام المرىء ، وهذا ما سيعيد اليك صحتك ، ويجعل منك فتاة صحيحة قوية ! ستريين أشياء كثيرة لم يسبق لك ان رأيتها من قبل . ستطلعين متفرجة على القمر حين يطلع فى الليل ، وترين البواخر تمر بنا والسفن تقلع وتبحر - بل وترين كل ما هو جميل . انك بحاجة الى مثل هذه الراحة . لقد قمت من قبل بما يصعب على فتاة مثلك ان تقوم به ، وانك الآن بحاجة الى عطلة - نعم ! .

أنا : (وقد كانت تصفى اليه بسرور متزايد - ثم بضحكة خافتة) ما أجمل ان أسمعك تتحدث بهذا ! ما أحوجنى الى رحلة بحرية ! حسن ، ان فكرة سفينة الشحن هى التى جعلتنى أتوقف . نعم سأنحدر معك وأرى - يا ... اننى احب أن أجرب كل شيء مرة واحدة .

كريس : (يتناول حقيبته مرة أخرى) سنذهب ، اليس كذلك ؟ .
أنا : وعلام الاستعجال ؟ تمهل لحظة (تنسى موقفها لحظة ، فتعود الى حالتها فتبتسم له ابتسامتها التجارية التى اعتادتها) يا ... انا عطشى ! .

كريس : (يضع حقيبته على الأرض فى الحال - ويسرع) أنا آسف يا انا ! ماذا تحبين ان تشربى ؟ .

أنا : (تسرع بالجواب) سأخذ ... (ثم تتذكر فجأة - فترتبك وتلعثم) لا أدرى . أى شراب عندهم هنا ؟ .

كريس : (بابتسامة) لا أظن أن لديهم هنا كثيرا من أنواع المشروبات
التي تناسب فتاة مثلك ، يا أنا . قد يكون (الجنجرايل)
أو « الساسبولا » مناسبة .

أنا : (تتكلف الضحك) فليكن الساس اذن .

كريس : (متقدما اليها - وهو يطرف عينيه) لقد قلت لك يا أنا -
اننا نحتفل ، - هذه المرة وحدنا ، لاننا قد التقينا بعد
سنوات (في شبه همس - مرتبكا) عندهم شراب جيد
من (البورت واين) يا أنا ، ويبدو لي أنه مناسب لك .
ويبدو لي أن قليلا منه يفتح شهيتك للطعام . ثم هو ليس
بالشراب القوي المؤثر أيضا . واعدك بأن كأسا واحدة
لا تذهب بصوابك .

أنا : (تضحك ضحكة عصبية) حسن ، سأشرب «البورت»
اذن .

كريس : اذهب لاجيئك به (يذهب الى البار - وحال يطبق الباب،
تقوم أنا واقفة على قدميها) .

أنا : (متناولة حقيبتها - متممة بصوت يوشك أن يسمع)
يا الهى ! لا أستطيع أن أطيق هذا ! وينبغي لي أن أنصرف
(ثم تترك حقيبتها تسقط من يدها ، وتلقى بنفسها في
كرسيها وقد غطت وجهها بيديها ، واخذت تنسج وتبكي) .

لارى : (يترك جريدته حال يأتيه كريس ثم يتمتم) حسن ، ومن
هى هذه الشقراء ؟ .

كريس : (بفخر) انها أنا ، يالارى .

لارى : (بحيرة ودهشة) ابنتك ، أنا ؟ (كريس يهز رأسه . لارى
يصفر صفيرا طويلا واطئا ، ويلتفت عنه مرتبكا) .

- كريس : ألا ترى أنها فتاة جميلة ، يالارى ؟
- لارى : (يقف) نعم ، ما من شك فى أنها كذلك .
- كريس : نعم ، بالتأكيد ! أعطنى الشراب لأرجع إليها . كأسا من شراب (البورت واين) لأنا - إنها تحتفل بالتقائها معى - وكأسا صغيرة من شراب « البيرة » لى .
- لارى : (وهو يأخذ الشراب) كأسا صغيرة من البيرة لك ؟ .
- كريس : (مسرورا) نعم ، هو كذلك ! (يأخذ الشراب ، وحال تسمعه أنا عائدا تسرع الى أدمعها تجففها ، وتحاول أن تتكلف الابتسام . يدخل كريس . ويضع ما جاء به من الشراب على النضد - ينظر إليها لحظة بلهفة وشوق - ثم يربت يدها) يبدو عليك أنك تعب ، يا أنا ، نعم ، سأعمل على أن تستريحى طويلا ، الآن (يتناول كأسه المترعة بشراب البيرة) هيا ، واشربى شرابك انه يبعث فيك حياة جديدة (ترفع كأسها - ويتمتم هو) صحتك (١) يا أنا . (يقولها بلغة السويد) تعرفين هذه اللفة السويدية ؟ . صحتك (١) ! .
- أنا : (تفرغ كأسها بشربة واحدة كأنها تشرب الوسكى - وترتجف شفاتها) ؟ يبدو لى أنى أعرف هذه اللفظة ، نعم أعرفها .

ستار

(١) يستعملان كلمة «سكول !» وهى كلمة سويدية

بهذا المعنى .

الفصل الثاني

منظر

بعد عشرة أيام ، في الساعة العاشرة ليلا ، يبدو مؤخرة سفينة الشحن « سيمون ونثروب » المثقلة بحملها ، ظاهرا في الناحية الخارجية من ميناء « بروفنستون » ، في ولاية « ماساجوستس » يلف السفينة ضباب كثيف وهي تطفو هادئة في الميناء .

وفي مؤخر السفينة غرفة صغيرة ، فيها مصباح مضاء ، وفيها موقد ارتفعت مدخنته بضع أقدام فوق سقفها . كان الضوء ينبعث شاحبا من نوافذ الغرفة ، التي لفها الضباب ، وكانت الاجراس في السفن الراسية في الميناء ، تدق دقات شجية ، تقطع بها الهدوء في فترات منتظمة متعاقبة .

وحال يرفع الستار ، ترى أنا جالسة بجوار بكرة الحبل الذي علق به المصباح . تبدو مكتملة الصحة ، قد تبدلت ، وعاد لون الحياة الي وجهها . وهي ترتدي معطفا أسود ، من المعطف الجلد التي لا ينفذ فيها الماء انها حاسرة الرأس ، تسرح بصرها في الضباب ، وقد طغى عليها شعور يمازجه العجب والخوف .

يفتح باب الغرفة على مصراعيه ، فيرى « كريس » بمعطفه من الجلد الأصفر ، وقبعته ، وبنطلونه ، و « شويتره » ، وحذاءه البحري الطويل الذي يكسو ساقه .

كريس : (يحدق حائرا - وقد عشى بصره الضوء المنبعث من
الغرفة) : أنا (لا يجيبه أحد فيصيح ثانية بصوت
مرتجف) أنا !

أنا : (مشيرة بيدها اليه كأنها تريده أن يحافظ على الصمت ،
ثم تتمم اليه هامسة) نعم ، أنا هنا . فما الذى تريده ؟

كريس : (يسعى اليها قلقا) ألا تدخلين يا أنا ؟ قد تأخرت الى
ما بعد الأجراس الاربعة ، يبدو لى أن ليس من المناسب
أن تظلى خارج الغرفة هنا فى الضباب .

أنا : ولم لا أظل ؟ أننى أحب هذا الضباب ! أقسم انه ...
(تتردد كأنها تبحث عن كلمة) هادىء غريب ... انى
أشعر كأنى نفضت يدى من كل شيء .

كريس : (يبصق مشمئزا) أقسم أن الضباب سيىء بالأعيبه
القبیحة .

أنا : (بابتسامة قصيرة) أعدت تتشكى فى حديثك عن البحر
أيضا ؟ لقد صرت مغرمة به ، مع أننى لم أر منه الا القليل

كريس : (ينظر اليها مكتئبا) هذه حماقة يا أنا ، لو حسنت
معرفتک به لما تحدثت عنه مثل هذا الحديث (يراها
تهتاج ، فيسرع فى تغيير لهجته الى لهجة وادعة) ولكننى
مسرور أنك أحببته فى سفينة الشحن ، وأنا مسرور أن
يعيد اليك صحتك (يتمم بلطف) أتحبين الحياة هكذا
وحيدة مع أبيك الشيخ ؟

أنا : حقا أحبها . ان كل شيء فيها يختلف عن كل ما سبق
لى أن رأيته من قبل . والآن - هذا الضباب - يا لله !
اننى أتمنى ، أننى لم أكن حرمته ! اننى لم يخطر
بخطرى أن الحياة فى السفن تختلف هذا الاختلاف

الكبير عنها فى الأرض . آه ما أحب الى أن أغمر فى البحر
أقسم اننى أتمنى أن أعيش فيه لو أننى كنت رجلا .
اننى لم أعد أتعجب منك ، أن قضيت عمرك بحارا .

كريس : (بحنق وحدة) اننى لم أكن بحارا يا أنا ، والذي تريه
ليس هو البحر الحقيقى ، انك لا ترين الا الجانب الممتع
منه فقط (ثم يراها لا تجيب فيستمر فى كلامه) نعم ،
أظن الضباب يرتفع فى الصباح عادة .

أنا : (وقد عاد الفرح فى لهجتها) اننى أحبه ! وليس هناك
ما يعوضنى اذا ما ... (كريس ، يبدل وقفته من قدم الى
قدم لشدة قلقه ، وأنا تتوقف عن الحديث لحظة ، ثم
تواصل حديثها متمهلة ...) اننى أشعر أننى صرت
نظيفة منتعشة - هنا فى هذا الضباب - حتى كأننى
قد فرغت الآن من الاستحمام .

كريس : (بعد أن سكت لحظة) الأولى أن تذهبي الى الغرفة ،
فتأخذى فى قراءة كتاب . وسيسلمك هذا الى النوم .

أنا : لا أريد أن أنام ، أريد أن أظل يقظة هنا ، أفكر فيما
أراه .

كريس : (يتركها منصرفا الى الغرفة - ثم لا يلبث أن يعود
اليها) تتصرفين بغرابة هذه الليلة يا أنا .

أنا : (يرتفع صوتها بغضب) أقول : ما الذى تريد فعله -
أتريد أن تفسد الأمور ؟ لقد كنت لطيفا معى من قبل
كأحسن ما تكون اللطافة وانى أحمد لك هذا ، وأقدره ،
وأرجو ألا تفسد الآن كل شئ (ثم ترى الألم يبدو فى
وجه أبيها ، فتتكلف الابتسام) دعنا نتحدث الآن عن
شئ آخر . اقعد هنا (تشير الى بكرة الحبل) .

كريس : (يجلس بجانبها متحسرا) نحن فى ساعة متأخرة من الليل يا أنا ، ان الأجراس الخمسة توشك أن تدق .

أنا : (فرحة) الأجراس الخمسة ؟ - كم الساعة الآن ؟ .

كريس : انها العاشرة والنصف .

أنا : غريب أننى لا أعرف شيئا عن لغة البحر - ولكن أبناء خالى كانوا أبدا يتحدثون عن الحصاد وما الى هذا - يا لله لقد ضقت بهم وبحديثهم .

كريس : أنت لا تحبين الحياة فى المزرعة يا أنا ؟

أنا : لقد قلت لك ألف مرة اننى كرهتها (ثم بلهجة المصمم الحازم) اننى لا أبدل قطرة واحدة من قطرات البحر بمزارع الدنيا كلها ! وأقسم انك أنت لا تحب المزرعة أيضا . هذا ما تحبه (تشير بيدها صوب البحر) ولكن لا على سفينة شحن مملوءة بالفحم كهذه ، بل على سفينة كالسفن ، تبحر بها متنقلا بين أرجاء الدنيا ! .

كريس : (بكآبة) لقد فعلت هذا مرارا منذ سنوات ، فعلته يا أنا حين كنت أحمق ! .

أنا : (باشمزاز ونفور) أوه يا الله - (تسكت لحظة ، ثم تتحدث ، وهى تفكر) وهل كان رجال عائلتنا ، الى الحد الذى عرفته عنهم - ملاحين ؟

كريس : (بكآبة) نعم ! يا للاغبياء ! رجالنا كلهم ، فى قريتنا الساحلية فى السويد ، كانوا يعملون فى البحر ! لم يكن لهم شئ آخر يشغلهم عنه ! أبى مات على ظهر سفينة فى المحيط الهندى ودفن فى البحر . وأنا لم أعرف ، الا القليل عنه ، وأمى بقيت وحيدة ، ثم ماتت بعده

بقليل ، وماتت وحدها ! لقد كنا كلنا فى رحلة بحرية حين ماتت (يصمت فلا يتحدث ، كأن الحزن يغلبه) وأخوای ! كلاهما ضاع فى قارب صيد ، كما غرق أخواك أنت ، وأخى الآخر ، وفر له بعض النقود ، ونفض يده من البحر ، ثم مات فى بيته على فراشه . انه الوحيد الذى لم يقتله هذا الشيطان الرجيم (ثم متحديا) ولكنى أنا - أنا أراهن أننى سأموت على الساحل ، أيضا !

أنا : وهل كان كل منهم فى رتبة الملاح فقط ؟

كريس : بحارا قديرا - هذا ما كان عليه أغلبهم (ثم بفخر ظاهر) كانوا كلهم من مهرة الملاحين أيضا - كان واحد منهم (يتردد لحظة ثم يقول خجلا) أنا ! كنت رئيسا للملاحين .

أنا : رئيسا كنت ؟

كريس : هذا نوع من الرتب .

أنا : ما أجمل هذا ! وما يعمل هذا ؟

كريس : (بعد أن يتردد ثانية ، تطفئ عليه الكأبة لخوفه من حماسها) عمل شاق فى كل وقت . ما أقبح الذهاب كما أخبرتك الى البحر (مصمما أن يجعلها تعاف حياة البحر - بذلاقة) كانوا كلهم حمقى . كل الرجال فى عائلتنا حمقى قد اشتغلوا بأنفسه الأعمال فى البحر ، وكان هم الواحد منهم أن يحصل على أجر يومى كبير يضعه فى جيبه ، ثم يأخذ فى الشراب حتى يسكر ويسرق ، ثم يبحر فى رحلة ثانية ... ويبهر ولا يعود ... انهم لم يقوموا بما ينبغى أن يقوم به الرجال الخيرون من الأعمال ... وهذا

البحر ، هو العملاق القديم الرجيم ، قد ابتلعهم - عاجلا
وآجلا - كلهم !

أنا : (بضحكة عصبية) أولى بى أن أسميهم : رجال رياضة
والعاب ! (ثم مترددة) ولكن - أصغ الى - وهل تزوجت
نساء العائلة كلهن البحارة ؟

كريس : (بلهفة - وقد رأى الفرصة أتاحت لبدء رأيه) نعم -
وكان هذا أشام ما يكون عليهن جميعا . كن يلتقين
بأزواجهن مرة . ثم يمكن طويلا وحيادات ينتظرن
أزواجهن - وحين يكبر أولادهن يذهبون للعمل فى
البحر ، وحينئذ يقعدن وحيادات أيضا ينتظرن أولادهن
(بحدة وعنف) ان فتاة تتزوج بحارا لهى حمقاء مخبولة
لو أن أمك كانت موجودة الآن لآخبرتك بالكثير عن هذا
(يعود الى نفسه متأملا ، مفكرا) .

أنا : (تسكت لحظة - ثم تتمم حالة) غريب ! أشعر بنوع
من الغرابة هذه الليلة ! أشعر بالكبر .

كريس : (بحيرة) الكبر ؟

أنا : نعم - كأنى عشت زمنا طويلا هنا فى الضباب (تقطب
متحيرة) اننى لا أدرى كيف أعبر لك عما فى نفسى ،
فأنا أشعر كأنى عدت الى بيتى بعد سفر طويل ، حتى
كأنى كنت هنا من أمد بعيد - كنت فى السفن فى مثل
هذا الضباب (تضحك ضحكة قصيرة) عليك أن تظن
أننى ابتعدت عن أصلى ومنبتى .

كريس : (بعبوس) كل انسان يشعر شعورا غريبا فى الضباب .

أنا : (فى اصرار والحاح) ولكن لم تظن أننى أشعر على هذا
النحو - اننى أشعر كأنى عثرت على شىء كنت قد فقدته

وظللت أبحث عنه من عهد بعيد . أشعر أن هذا المكان هو المكان المناسب الذى يجب أن أقر فيه ! ويبدو لي أنى أحس أننى نسيت كل ما حدث لي - حتى كأن لم يعد يعنينى من أمره شيء . أحس أنى طاهرة نظيفة - على نحو ما تحس به بعد أن تستحم - وأشعر أننى سعيدة - نعم ، أقسم اننى أحس بسعادة لم يسبق لي أن أحسستها من قبل (كريس يتابع حركاته من غير أن يعلق على كلامها ، وهى تظل مسترسلة) انه غريب منى أن أحس هذا الاحساس ، ألا ترى هذا ؟ .

كريس : (بلهجة العابس المتجهم) أظننى أحقق حين جئت بك الى هنا ، يا أنا .

أنا : (متأثرة بصوته) أنت تتحدث - بغرابة هذه الليلة ، تتحدث كما لو كنت خائفاً أمراً يوشك أن يحدث .

كريس : الله وحده يعرف هذا ، يا أنا !

أنا : (فى شيء من السخرية) واذن فتلك مشيئة الله - كما يقول القس .

كريس : (يقف على قدمه محتجاً بعنف) بل هى ارادة البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ! وليست مشيئة الله (وتعقب تحديه لحظة صمت ، ثم يسمع استغاثة بصوت خافت أجش ، يبعثها رجل من الضباب الى الميناء) أهوى ! (كريس يصيح صيحة الفزع) .

أنا : (تقف على قدميها) ما هذا ؟ .

كريس : (وقد استعاد رباطة جأشه - خجلاً) أقسم أن قد روعنى هذا لحظة - انه نداء رجل يستغيث يا أنا - لقد ضل طريقه فى الضباب ! لابد أن يكون قارب صيد ، قد تحطمت آله على ما أظن (ينبعث النداء ثانية من حائط

الضباب ويبدو أقرب كثيرا من سابقه . كريس يمضى الى ناحية الميناء المحصنة (الصوت ينبعث من هذه الجهة .. ينبعث من البحر المفتوح) يضع يديه على فمه كمن يحاول تضخيم الصوت . (يصيح ثانية) أهوى . هنا ! ما الخطر !

الصوت : (يسمع الصوت وقد اقترب أكثر من ذى قبل) اتجه نحو مقدم السفينة . ألق إلينا الحبل حين تقرب منك (ثم بانفعال) أين أنت يا هذا !

كريس : أسمعهم يجذفون ، قد جاءونا من مقدم السفينة على ما أظن (ثم يصيح ثانية) من هذه الجهة !

الصوت : كما تريد (يسمع صوت المجاذيف خافتا فى أماكنها من القارب) .

أنا : (كأنها تناجى نفسها - متعذرة) لم لا يبقى ذلك الحبل بمكانه الذى يناسبه ؟

كريس : (مسرعا) أنا ذاهب الى مقدم السفينة - كل يد تستريح وتنام الا يد الملاح فانها تظل أبدا يقظة - أنا ذاهب لأمد حبلًا الى هذا الملاح (يختطف حزمة من الحبال ويسرع بها الى مقدم السفينة . أنا تسرع الى مؤخر السفينة كأنها تحاول أن تبقى - ما وسعها البقاء - وحدها تدير ظهرها الى ما يجرى فى مقدم السفينة ، وتعود باعثة بصرها فى الضباب . يسمع الصوت مستغيثا مرة أخرى ، فيجئ كريس هذه الجهة . ثم تعقبه لحظة هدوء - ثم تسمع غمغمة لأصوات خافتة ، ثم تسمع ضربات الأرجل . يظهر كريس قادما من ناحية الغرفة الى المرفأ ، وهو يعين رجلا صار على شكل كومة ، بملابس العمل فى البحر ،

وقد لف احدى يدي الرجل حول عنقه ، يتبعه بحار عادى من أهل السويد هو جونسون ، وهو شاب أشقر يرى وهو يعاون رجلا منهوكا كالرجل الأول . أنا تلتفت اليهم) .

كريس : (يقف لحظة ، ثم يصيح بطلاقة) أنا - تعالى عاونى ، ألا تأتين ؟! . تجددين الوسكى فى الغرفة - هؤلاء البحارة بحاجة اليه لاقامة أنفسهم - هذا يوشك أن يموت .

أنا : (مسرعة اليه) نعم ، سأفعل - ولكن من هؤلاء ؟ . وما خطبهم ؟ .

كريس : بحارة تحطمت سفينتهم - وظلوا أربعة أيام فيها . أربعة رجال ، واحد منهم فقط يستطيع أن يقف . تعالى ، أنا (أنا تتقدمه الى الغرفة ، تدخل وتترك الباب مفتوحا على مصراعيه ، فيدخلها كريس وجونسون بأحمالهما . ينطبق الباب ، ثم يفتح ثانية فيخرج جونسون ، ويتبعه كريس بصوته صائحا) اذهب وأت بالملاح الآخر يا جونسون .

جونسون : نعم - سيدى (يمضى جونسون فيطبق الباب مرة أخرى ماتبرك يتعثر قرب باب الغرفة المواجه للمرفأ . يتحرك ببطء ، يتلمس طريقه ، فيقبض على الباب بيده اليمنى . ويتعلق به ليقيم نفسه . يرى عاريا الا من ينظلون قدر من هذا النوع الذى يلبسه الملاحون . أنه عريض الصدر ، طويل القامة مديدها ، جميل المحيا ، تلوح فى وجهه الصرامة والجرأة والشجاعة . انه فى عنفوان الشباب ، فى نحو الثلاثين من العمر ، تبدو عضلاته بارزة بشكل واضح ينبىء عن قوتها . وعيناه سوداوان لاح فيهما الاحمرار والالتهاب من أثر الأرق . وعضلاته فى ذراعه وكتفه كأنها كومة من اللحم ، وظهرت أوردة يده واضحة

كانها الحبال الزرق . لقد وجد طريقة الى حزمة الحبال فى مقدمة السفينة ، فجلس عليها وهو يواجه الغرفة منحني الظهر ، وقد وضع رأسه فى راحتيه بهيئة تنم عن أنه متعب منهك) .

برك : (يتحدث الى نفسه بصوت عال) جدف ، أيها الرجيم ، جدف (ثم يرفع رأسه ناظرا اليه) ما هذا الدلو . وعلى أية حالة قد نجونا - بعون الله (يرسم علامة الصليب من غير أن يفكر ، جونسون يأتى ماشيا على ظهر السفينة يحمل الملاح الرابع الذى يهذى بكلام غير مترابط . برك ناظرا اليه بازدراء) أترك أضعت قليل العقل الذى كان معك ؟ أيها ال ... (يدخلونه فى الغرفة ويتركون بابها مفتوحا . برك ينحني وهو متعب) .

لقد استرحت ، استرحت تماما . لقد تعبت . وأنكحت قواى .

أنا : (تخرج من الغرفة بيدها قدح كبير من الوسكى مملوء الى ربعه . تقفز حين ترى برك بجانبها ، يظهره الضوء المنبعث فى الداخل من باب الغرفة المفتوح بشكل واضح . ثم تغالب شعور النفور الذى طغى عليها لأول وهلة بأن تقرب منه وتقف الى جانبه) أهذا أنت ! هأنذى جئتكم بالشراب وأظنك بحاجة اليه .

برك : (رافعا رأسه ببطء - متحيرا) أحالم أنا ؟ .

أنا : (تبتسم) اشربه ، وسترى أنك لست فى حلم .

برك : يا للشراب ! - وعلى أى حال سأشربه (يشربه جرعة واحدة) أها ! ما أحوجنى الى هذا ! انه شراب حسن (ينظر اليها باعجاب واضح) اننى لم أعن الشراب حين

قلت : أحالم أنا لقد حسبتك حورية من حوريات البحر
جاءت لتعذبنى . (يحاول أن يمس ذراعها ، يتلمسها)
آه ! - أنت من لحم ودم .

أنا : (بفتور - وهي تتراجع عنه) كف عن هذا الحديث .

برك : ولكن قولى لى : هذه سفينة شحن ؟ هذه التى أنا فيها ،
أم هى شىء آخر ؟ .

أنا : بل هى كذلك !

برك : وما الذى عمله فتاة جميلة مثلك فى سفينة الشحن
القدرة هذه .

أنا : (بفتور) لا عليك من هذا (يبدو الارتياح عليها مع أنها
لا تود أن ترى كذلك) أقول انك عظيم - لقد أخذت
تسخر بعد الذى كنت فيه .

برك : (مسرورا - فى كبرياء) آه ، انه لم يكن بالشىء الهام
بالنسبة لرجل شجاع جرىء مثل (يضحك) كل ما كان
من عمل النهار ، يا عزيزتى (ثم يكون أكثر جدا فى
قوله ، ولكنه ما يزال يتحدث بلهجة الفخور الواثق
بنفسه) على أننى لا أنكر ، أنها كانت صعقة قصيرة ملعونة
وقد كدنا بها أن نغوص جميعا ، مع ديفى جونز ، فى قاع
البحر وانى أقول لك . لولا قوتى الكبيرة لسكنا طعاما
للسمك .

أنا : (بازدراء) يا - أنت تكره نفسك ، أليس كذلك ؟ .
(تدير نفسها عنه غير مكترثة به) أولى أن تدخل الغرفة
وتضطجع ، انك بحاجة للنوم .

برك : (كالمسوع - يترنح محاولا الوقوف على قدميه ، صدره
ممدود الى الأمام ورأسه مرخى الى الوراء) أتقولين :

اضطجع ونم؟! . ملعون أنا ان كان غمض لى جفن منذ يومين وليلتين ، وملعون أنا ان كانت فى حاجة الى النوم الآن . لا أريد أن تظنينى مثل هؤلاء الثلاثة الذين جاءوا بالقارب معى . انى لأستطيع أن آتى على ثلاثتهم وأنا قاعد بيد واحدة ، والأخرى مقيدة ، قد شد وثاقها وراء ظهري . ربما كان هؤلاء قد تعبوا وخارت قواهم ، وولوا ، أما أنا فلا ... ولقد كنت معهم أجذف مطروحا فى القعر ، غير قادر أن أحرك يدا ، منذ يومين (يتحمس حين يرى قوله هذا ، لا يؤثر فيها) وأقول لك اننى أستطيع أن آتى على كل يد فى هذه السفينة ، واحدة بعد واحدة ، كل هذا ، وأنا على اعيائى الذى أنا عليه الآن .

أنا : (متهكمة) يا ! ياما أشدك ! (ثم بشيء من العاطفة ، حين تراه يترنجح من الاعياء والضعف) ولكن لا عليك من كلام العراك هذا . سأخذ كلامك فى كل ما قلته . هيا ، واجلس هنا على أى حال ، اذا كنت لا تريد أن تدخل الغرفة (يجلس والتعب باد عليه) كانت هذه حالتكم كلكم وأولى بك أن تعترف بهذا .

برك : (بعنف) لا ، لست كما تقولين !
أنا : (بفتور) حسن ، كن عنيدا اذن فى كل ما تريده ، واذن فسأقول اننى لا أعبأ بأقوالك . ان الرجال الذين عرفتهم ، لا يظهرون هذا الضرب من التعنت حين تكون معهم السيدات .

برك : (يترنجح محاولا أن يقيم نفسه ثانية - فى غضب) السيدات ! هو - أصلحك الشيطان ! لا تحاولى العبث بى . وما تفعل السيدات فى مثل هذا المركب الملعون ؟!

(تحاول أنا أن تذهب الى الغرفة ، فيطرح نفسه في طريقها) تمهلي ، الآن ، انك لست بزوجة لهذا الرجل العجوز من اسكندنافية . ولا أسمع منك أيضا أنك تعاشرينه خلية له في هذه الغرفة (يرى الفتور ، والغيظ في وجهها ، فيسرع في تبديل لهجته الى لهجة فرحة) ولكنني منذ أن نظرتك أول نظرة رأيته حماقة منك أن تضيعي نفسك - وأنت فتاة جميلة لطيفة - في الحياة مع عجوز قمىء من الرجال ، كهذا السويدي العجوز . وكم في البحر من شبان امتشقت قلماتهم يودون أن يبذلوا دم قلوبهم في سبيل قبلة ينالونها منك .

أنا : (بازدراء) شبان مثلك أنت !

برك : (يصك أسنانه) خذي الكلمة مني - انني أنا الشاب الذي يناسبك ، لو أنني قلت هذا عن نفسي (يحاول بحركة سريعة أن يلف يديه حول صدرها) ألا تودين الآن أن أكون يا وردتي أنا ذلك الذي معك في الغرفة ؟ انها قبلة منك هي التي أريدها ، لتزيل ما أشعر به من تعب في عظامي . ألي أن أقبلك . الآن ! (يجتذبها اليه محاولا تقبيلها) .

أنا : (تصارعه بشدة) ابعد عني أيها الأحمق الثقيل ! (تدفعه بكل ما أوتيت من قوة . برك يزاح عنها ، وقد ضعف وتداعى ، يسقط على قفاه فيصطدم رأسه بحصن الباخرة اصطداما عنيفا . يظل مطروحا ، لا حراك به ، هنيهة . تقف أنا لحظة ، تنظر اليه خائفة مروعة ، ثم تركع بجانبه ترفع رأسه الى ركبتها ، وتحقق في وجهه باحثة عن أثر للحياة فيه) .

برك : (يتململ - متمتما) يا لله ! (يفتح عينيه وينظر اليها بعجب) .

أنا : (تاركة رأسه مرخى على ظهر السفينة ، واقفة على قدميها تتنهد وقد شعرت بشيء من الراحة) لقد عادت الحياة اليك - كنت قبل لحظة خائفة أن أكون قتلتك ! .

برك : (يحاول بصعوبة أن ينهض على قدميه - ثم بازدراء) تقولين قتلتني ؟! ان راسي القوي لا تكسره ضربة واحدة (ثم يحدق فيها باعجاب بالغ) ولكن . ليكن النصر لهما ! لذراعيك هاتين الجميلتين المثلثتين صلابة وقوة - ليس في الدنيا كلها رجل واحد يستطيع أن يقول انه مثلك رأى ماتبرك ، ميتا عند قدميه .

أنا : (وكأنها قد شعرت بالندم) انس هذا ! اننى آسفة أن يكون هذا قد حدث - ألا ترى هذا ؟ . (يقوم برك ويقعد على مقعد ، أنا تقول بعنف) لست على حق فى أن تأخذ حريتك بالحديث معى . استمع الى الآن ! ولا تذهب بك الظنون مذاهبها ، أنا هنا فى سفينة الشحن ، لأننى فى رحلة عليها مع أبى ، انه عريف السفينة . كن الآن على بينة من هذا .

برك : العجوز من أهل اسكندنافية ، العجوز السويدي ؟ ! .

أنا : نعم .

برك : (يقف - محدقا فى وجهها) كان على أن أعرف هذا ، لولا أننى بفطرتى أبله معتوه والا فمن أين لك هذا الشعر الأصفر الجميل ، كأنه التاج الذهبى على رأسك .

أنا : (تضحك فرحة) أقول : ألك أن تكف عن هذا الحديث ؟ (ثم تحاول أن تجعل صوتها يبدو أكثر صرامة) ولكن ،

ألا ترى أن تعتذر عما حاولت أن تغرينى به ، قولا وفعلا ،
قبل دقيقة واحدة . بدلا من أن تعود محاولا أن تضلنى
بهذا الهذر ؟ .

برك : (ساخطا) - هذر ! (ثم منحنيا بعناية بالغة) حقا ان
على أن أطلب عفوك آلاف المرات - وأن أطلبه وأنا راكع على
ركبتى اذا شئت . لم أقصد الى شىء مما أتيت به قولا أو فعلا
(ممتعضا) ولكن لعن الشيطان ! انى لم تهزأ بى امرأة
فى ميناء من موانئ الدنيا كلها ، على نحو ما فعلت بى
أنت هنا .

أنا : (متهكمة بلطف) . لقد أدركت الآن ! انك تعنى أنك
قاتل النساء ، وأنهن كلهن يضرعن اليك ويقعن على
قدميك .

برك : (بعاطفة - وقد أسىء اليه) كفى عن سخريتك هذه -
تقولين هذا حين صار زمامى بيدك (بكآبة) انى لم أكذب
فيما حدثتك عن النساء (تعلو لهجة الكآبة فى صوته)
لو لم أكن بليدا مخبولا لما أخطأت معرفتك ، ولقدرك -
حتى فى ساعة الغضب - حق قدرك .

ان النسوة اللواتى فى الموانئ كالبقر وانى لم ألتق
الا بهذا الصنف منهن منذ أن بلغت مبلغ الرجال (يراها
تراجع عنه فيسرع متوسلا اليها) اننى رجل غليظ ؛
فظ ، ولا أرانى حقيقا أن أقبل نعل حذاء فتاة لطيفة
محترمة مثلك . ان جهلى بادراك لطفك هو الذى صيرنى
أراك خطأ على غير ما أنت عليه ، وانى لأرجو أن تصفحى
- اكراما لله - عنى أو أرجو أن تكون من الآن صديقين
(بعاطفة) وان رغبتى فى أن أكون صديقا لك ، لا تعدلها

رغبتي في شيء في الدنيا (يمد يده الى يدها بخجل) .

أنا : (تنظر بغرابة اليه وهي قلقة حائرة ولكنها تتأثر وتسرع
بما قال - تأخذ يده وكأنها لا تشعر بذلك) نعم
بالتأكيد .

برك : (بفرح كفرح الأولاد) - بارك الله فيك ! (يضغط يدها
بشدة من فرحته) .

أنا : آه !

برك : (يخلي يدها على عجل - ثم بكآبة) عفوك أيتها الأنسة ،
ما أنا سوى قرد أحرق (ثم ببساطة - ينظر ذراعه
بكبرياء) انها القوة الكبيرة التي في يدي وذراعي ، واني
أنساها في بعض الأحيان .

أنا : (تعالج يدها المرضوضة ، وهي تنظر الى يده نظرة
لا أثر فيها لما كان يبدو عليه من اعجاب) يا ... فيك شيء
من القوة ، لا بأس به .

برك : (مسرورا) - لا مرأى في هذا . ولم لا يكون ذلك في وأنا
الذي أطرح ملايين الأطنان من حجر الفحم في موانئ
السفن منذ أن كنت صبيا (يشير الى حزمة الحبل في
مقدم السفينة ، كأنه يدعوها للجلوس عليها) هلا
تستريحين هنا قليلا ، يا آنسة ، فأحدثك قليلا عن نفسي
وتحدثيني قليلا عن نفسك ، فنكون في ساعة صديقين
حتى كأنني نشأت في البيت الذي نشأت فيه ؟ .
(يجبر فضل كمها خجلا) اجلسي الآن - أرجوك .

أنا : (مبتسمة) حسن - (تقعد) ولكنني لا أريد أن يكون
الحديث عني . حدثني عن نفسك ، وعن السفينة كيف
تحطمت .

برك : (بشيء من التودد) - نعم سأخبرك . ولكننى أود أن أسألك يا آنسة سؤالاً واحداً : أترين عقلى ما يزال حائراً فى حل لغز ؟ .

أنا : (باحتراس) نعم - أنا لا أدرى - ما هى القصة ؟

برك : وما الذى تفعلينه حين لا تكونين فى رحلة مع الرجل الشيخ ؟ . لأننى أظن أن امرأة جميلة مثلك لا تستطيع أن تقضى الوقت كله فى سفينة الشحن هذه .

أنا : (مضطربة) لا - طبعاً لا (تتطلع الى وجهه خلسة ، خشية أن يكون قد عرض بعض التعريض بها فى ألفاظه ، وحين ترى الصراحة بادية فى وجهه ، تمضى بثقة فى حديثها) حسن أقول لك اننى مربية أولاد . أرعى الأطفال للناس ، وأعلمهم أشياء ...

برك : (مأخوذاً بقولها) مربية أطفال أنت ! . يجب أن تكونى ذكية حقاً .

أنا : ولكن عليك ألا تتحدث عنى ، حدثنى عن السفينة كيف تحطمت ، كما وعدت .

برك : (بشيء من التعاضم) كان الأمر على هذا النحو يا آنسة : منذ أسبوعين كنا فى عاصفة شيطانية عاتية ، أحدثت خرقاً مدمراً فى مقدمة السفينة . وكان ربان السفينة يأمل أن يبلغ « بوستن » قبل أن نصاب بضربة أخرى يكون فيها القضاء علينا . ولكننا قبل عشرة أيام . أصبنا بعاصفة عاتية أخرى ، كانت كالأولى ، بل أشد منها ، بقينا فيها أربعة أيام فى البحار الخضر ، وقد كسرنا ظهورنا عاكفين على السفينة من مقدمها الى مؤخرها . كان وقتنا عصيباً مريعاً أعاننا الله عليه (بفخر وكبرياء) ولولاي ، ولولا

فوتى الكبيرة التى حدثتك - أقسم بالله صادقا - عنها
لتمرد الملاحون فى موقد الباخرة نفسه .

لقد كنت أنا الذى ثناهم عن عصيانهم ، كنت أرفس
عدا رفسة ثم أضرب ذاك . انهم لم يكثرثوا للمهندسين
أى اكتراث . ولكن كانوا يخافون الضربة من يدى اليمنى
أكثر من خوفهم من البحر نفسه ! (يحدق فيها آملا
أن يرى أثر الاعجاب فى وجهها) .

أنا : (تخفى ابتسامة - وهى مسرورة بلهجة تباهيه الصببانية)
لقد قمت بعمل جبار - أليس كذلك ؟ .

برك : (مسرعا بحزم) لقد قمت بذلك . وانى شيطان فى أن
أقاوم - حين يعجز الضعفاء ويرون ألا حيلة لهم فى الأمر -
لقد كان فيه الخير على كل حال . كان الصراع جنونيا فى
اللحظات الأخيرة . فكان كل رجل يصارع فيه لينقذ
نفسه وحدها - وانى لا أكاد أتذكر كيف انتهى - وكل
ما أعرفه أننا كنا أربعة رجال فى زورق واحد . رفعته
عاليا موجة كبيرة ، فنظرت حولى ! فخیل الى أننى لا أرى
سفينة ولا رجالا فوق سطح البحر .

أنا : (بصوت خافت) وهل غرق الآخرون كلهم ؟

برك : نعم غرقوا - ما فى ذلك شك .

أنا : (مرتجفة) أى نهاية محزنة هذه !

برك : (ملتفتا إليها) ربما كانت نهاية محزنة لأولئك الذين
يعيشون على الأرض - أما أولئك الذين يجوبون البحار
أمثالنا ، فيرونها نهاية حسنة - أقول لك : انها سريعة
نظيفة .

أنا : (مأخوذة باللفظة) نعم ، نظيفة - هذه هي اللفظة المناسبة . وهذا هو ما أشعر به .

برك : أعنيت البحر ؟ .. (بفرح) يبدو لي أنك فطرت على حبه .
ان حبه في دمك . وان أباك الشيخ لم يمض حياته جرذا
في سفينة الشحن - أرجو عفوك - بل كان ...

أنا : لا ، كان عريفا في السفن البحرية سنين . وهو يقول ان
رجال عائلته كلهم ، عائلة أمه وعائلة أبيه ، عملوا في
البحر . وان نساء العائلة كلهن تزوجن بحارة أيضا .

برك : (بمنتهى الرضا) ذلك ما فعلته ! انها لجرأة منهز وانك
لا ترين الا في البحر رجالا ذوى جرأة وشجاعة ،
يصلحون للزواج من فتيات جميلات عاليات السجيا
(تم يضيف مترددا بشيء من الجرأة) أمثالك .

أنا : (ضاحكة) وعدت الى ديدنك أيضا ؟ (ثم ترى تأثره
وانفعاله فتسرع) ولكنك كنت على أن تحدثني عن نفسك
انت ايرلندي طبعاً ، أنا أعرف هذا .

برك : (بشجاعة) نعم ، وأنا أشكر الله ، اننى لم أر منظراً من
مناظر ايرلندة منذ خمسة عشر عاماً .

أنا : (متفكرة) ان الملاحين قل أن يذهبوا الى بيوتهم . أليس
كذلك . وهذا ما كان يقوله لى أبى .

برك : ان أباك لم يكن كاذباً فيما قال (ثم بنفس منقبضة) ان
حياة البحر موحشة قاسية - وان النسوة اللواتى نلقاهن
في موانئ الدنيا ، هن أولئك النسوة اللواتى يردن أن
يلقيننا بكلمات معسولة - انهن لسن بالنساء - لعلك
أدركت أى صنف منهن عنيت بقولى ، انهن مسكينات

شريرات غفر الله لهن ! انهن لا يبحثن الا عن اختلاس النقود من الرجال .

أنا : (تدير وجهها عنه ، وقد وقفت على قدميها - مضطربة)
أظن أن الأولى أن أرى ما سأعمله في الغرفة .

برك : (يخشى أن يكون قد أزعجها - متوسلا) أقول : لا تذهبي !
أرايتنى قد أسأت اليك في حديثي عنهن ؟ أرجو ألا
تكرثي له أبدا . اننى لا أجيد صناعة الحديث ، حين يكون
الحديث لاثقا بمثلك . ولم لا أكون كذلك ؟ وهذه هي المرة
الأولى التى أتحدث فيها الى فتاة محترمة مثلك منذ أن
غادرت بيتى لأعمل فى البحر ، وفى الفحم ... ؟ ولذا أرجو
ألا تصرفى وجهك عني ، وقد أوشكنا أن نكون صديقين .

أنا : (ملتفتة اليه ثانية - وهى تتكلف الابتسام) أقسم اننى
لم يغظنى حديثك .

برك : (ممتنا) بارك الله فيك !

أنا : (تقلب موضوع الحديث فجأة) ولكنك اذا كنت حقا
ترى حياة البحر على هذا النحو الذى تعافه النفس ، لم
لا تتخلص منه ؟

برك : (باستغراب) أشتغل على الأرض - اليس كذلك ؟ -
(تشير برأسها اشارة المؤمن على كلامه - يبصق بازدراء)
أحفر بمعولى السماد ، أزرع البطاطة من الفجر الى
الغروب ! . (بشدة) لا ، هذا ما لم أخلق له ، يا آنسة .

أنا : (ضاحكة) كنت عارفة أنك ستقول هذا .

برك : (وكأنه يحاول أن يبعث الجدل) ولكن ، فى البحر
أشغال جيدة ، وأشغال رديئة . كما أن فى الأرض أشغالا

رديئة . وأنا أرى أن لو عملت فى موقد النار فى باخرة
تبحر فى أوقات منتظمة معينة ، واستطعت أن أحصل
على بيت صغير ، آوى اليه ، وأقيم فيه أسبوعا من كل
أربعة أسابيع أقضيها فى البحر ، حينئذ ، ربما ساعدنى
الحظ فى أن أجد فتاة ، جميلة محترمة - مثلك أنت -
ترغب أن أكون لها زوجا .

أنا : (تدير وجهها عنه ضاحكة ضحكة قصيرة - باضطراب)
نعم ، حقا ، ولم لا ؟ .

برك : (مقتربا كل الاقتراب منها - بفرح) واذن أتظنين أن
فتاة مثلك ، يمكن ألا تلتفت الى الماضى ، وأن ترى الخير
فى أن تكون معى ؟

أنا : (فى اللهجة نفسها) ولم لا ؟ . حقا .

برك : (بعاطفة) أقسم انها لا تكون آسفة اذن ، لأنى لا أعود
متسكما باحثا عن الشراب ، بل واضعا أجر يومى فى
يدها ، مقيما معها فى بيتى ، وادعا وداعة الحمل ،
فى كل ليلة من ليالى الأسبوع أقضيها فى الميناء .

أنا : (تتحرك - بغير ارادتها - متأثرة بهذا الاقتراح غير
الواضح - متكلفة الضحك) كل ما بقى عليك هو أن
تبحث عن الفتاة .

برك : لقد وجدتها .

أنا : (فى شبه حيرة وقلق - تحاول أن تضحك) وجدتها ! .
متى ؟ أظن أنك كنت تقول ...

برك : (فى جرأة وحماسنة) هذه الليلة (رافعا رأسه
باستعطاف) اذا رضيت (ثم رافعا عينيه الى عينيها -
ببساطة) انها أنت التى عنيت .

أنا : (يوقفها بنظرة اليها لحظة ثم تجفل متراجعة عنه الى الخلف بضحكة غريبة متكسرة) قل لى - أترك صرت مخبولا ؟ . أترك تحاول خداعى وتضليلى ، فتتنزح على - يا لله ! - مثل هذا الاقتراح فى مثل هذه المعرفة القصيرة ! . (كريس يخرج من الغرفة ، يختلس النظر الى مقدم السفينة ، وحين يرى أنا تدنو هذا الدنو من هذا الملاح الغريب ، تغشى وجهه غاشية الغضب) .

برك : (يتبعها - متوسلا ، ملحا) أقول لك انها مشيئة الله ! تلك التى جاءت بى سالما فى العاصفة والضباب الى هذه البقعة الوحيدة فى الدنيا ، الى حيث أنت . فكرى فى هذا الآن ، وليس غريبا ..

كريس : أنا ! (يتقدم اليهما غاضبا ، يضم قبضتيه) أنا ، تعالى الى الغرفة - أما تسمعين !؟ .

أنا : (تتحول عواطفها فى الحال الى امتعاض واستياء من صوته اللفظ الغليظ) من الذى تظن نفسك تخاطبها - عبدة !؟ .

كريس : (متأثرا - يخفض صوته ، وهو يتوسل) أنت بحاجة الى الراحة يا أنا . عليك أن تنامى (لا تتحرك لكلامه) ، (يلتفت الى برك فى عنف وغضب) وما الذى تفعله أنت أيها الملاح هنا ؟ ألسنت مريضا كالآخرين . اذهب الى أعلى السفينة ، فقد أعطوك مكانا تنام فيه (مهددا) أقول لك : عليك أن تسرع .

أنا : (بغير أن تفكر) ولكنه مريض ، أنظر اليه ، انه لا يكاد يستطيع أن يقف .

برك : (يعدل قامته - ويمد صدره الى الأمام - ثم بضحكة

جريئة وقحة) أراك تصدر أمرك الى . أليس كذلك أيها الشيخ . اسمعنى اذن - اننى أستطيع بيد واحدة ، وأنا على ما أنا عليه من ضعف ، أن أشطرك شطرين أطرح كل واحد منهما فى ناحية - ثم أطرح بحارتك وراءك (يسكت فجأة) لقد نسيت نفسى - انك أبوها الشيخ ! ما أنا برافع قبضتى اليك ولو أعطيت الدنيا كلها بذلك (ترتخى ركبته ، فيترنح ويوشك أن يسقط - تصيح أنا صيحة المحذر المنبه وهى تسرع الى جانبه) .

أنا : (تضع احدى يديه فوق كتفها) هيا بنا الى الغرفة ، ولك أن ترقد فى فراشى اذا لم نجد غيره .

برك : (يطفح البشر فى وجهه - وهما يتقدمان الى الغرفة) تبارك الله ! .

أأنت التى تضعين ذراعى حول عنقك ! يا أنا ! أنا ! حقا انه اسم جميل ، وانه مناسب لك .

أنا : (تقوده بعناية) اش اش .

برك : اش تقولين ؟ . نعم ، ولكن لا ، سأزعق زعقة البوق فى

البحر ينذر السفن فى الضباب . انت فتاة الدنيا ، وسنتزوج فى الحال ، ويعرف ذلك من يشاء أن يعرفه

أنا : (وهى تقوده تجتاز به باب الغرفة) اش - لا تعباً

بما قيل . عليك أن تنام (يدخلان الغرفة ولا يريان . يظل

كريس واقفا - بعد أن سمع ألفاظ برك الأخيرة ، فاتحا

فاه مشدوها ، يتبعهما بنظره وهو يائس) .

كريس : (يلتفت فجأة الى البحر ، وهو يشد قبضته ، ثم يخاطبه

بكره مريع) هذه هى حيلتك القذرة ، أيها الشيطان

الهرم الرجيم ! (ثم فى سورة من الغضب) ولكنك -

والله لن تفعله ! لن تفعله ما دمت حيا - لا والله لن تفعله !

منظر ستار

الفصل الثالث

منظر

يرى داخل الغرفة التي في سفينة الشحن «سيمون ونثروب» في مرفأ السفن في مدينة «بوستن» - وهي غرفة ضيقة ، واطئة السقف ، صيغت جدرانها بلون جوزي مزركش بحواش بيض . وفي مؤخرها من ناحية اليسار باب يقود الى مخدع التوم . وفي الزاوية اليسرى ، خزانة كبيرة ذات قفل ، بابها أبيض اللون ، علقت فيه مرآة بمسمار . وفي الجدار الخلفي ، شباكان صغيران مربعان ، وباب يمكن ان يفتح الى ظهر السفينة ، نحو جهتها الخلفية . وفي الحائط على الجهة اليمنى ، شباكان آخران يطلان على ظهر السفينة من ناحية الميناء ، وعلى الشبايك ستائر بيض ، نظيفة منسأة . وفي وسط الغرفة منضدة ، حولها كرسيان من الخيزران ، وبجوارها كرسي متأرجح مصنوع من الصفصاف ، مصبوغ بلون بني .

في عصر يوم مشمس ، بعد أسبوع من الفصل السابق ، ترى في الميناء باخرة ، تبعث الصغير خافتا من صفاراتها البخارية ، ومحركاتها تنفث الدخان ، وهي تفرغ حمولتها ، غير بعيد من الغرفة .

وحال يرفع الستار ، يرى كريس وأنا . ترى أنا جالسة على الكرسي المتأرجح بجواز النضد ، وبيدها جريدة ، لا تقرأها - ولكنها تفرج بصرها ، ناظرة الى الأمام . انها مهمومة مضطربة قد تكست رأسها

مطرقه ، مهمكة فيما يدور برأسها من خواطر . ويرى
كريس يتمشى فى الغرفة ، وهو يسرع فى اختلاس
النظرات الى وجهها المتعب ، ثم يقف ذاهلا يطل من
الشباك الى الخارج . ان حالته تنم عن قلق شامل،
تركه على أحر من الجمر . يظهر متشاغلا بترتيب
أشيائه . انه يقبض على الشيء فيضعه فى مكانه ، ثم
ما يلبث أن يحدق فيه ببلادة وذهول ، وأن يعيده -
لغير ما غاية - الى مكانه السابق . يتنحى ، ويأخذ
فى الغناء بصوت خافت حزين ، يغنى أغنيته المهددة .
« جوزفين ، يا حبيبتي ! هيا الى السفينة - لقد
طال انتظارى اليك ! » .

أنا : (تلتفت اليه - متهمكة) أنا مسرورة أن أرى بعض
الناس يبدو سعيدا (بتعب وسأم) يا لله ! كنت أتمنى
لو تخلصنا من هذا المكان المزعج وعدنا الى نيويورك .

كريس : (ضاحكا) وسأكون سعيدا حين نبحر ثانية أيضا .
(وحين يراها لا تعلق على كلامه ، يحاول بسماجة أن
يتهمك) أنا لا أدري لم لا تحبين بوستن ؟ انى أحسبك
قضيت وقتا جميلا هنا ، فأنت تذهبين دائما الى الميناء خارج
السفينة . تذهبين كل يوم وكل ليلة من ليالى الأسبوع ،
منذ أن صرت هنا ! تذهبين الى المسارح ، والى دور
السينما وتتفرجين على كل ضروب التسلية ! (تقدح
عيناه بالغضب) كل هذا مع ذاك الايرلندى اللعين .

أنا : (بضجر وازدراء) يا للسماء ! وهل عدت كدأبك فى
هذا أيضا ؟ . وأى ضرر فى أن يصحبني معه الى ما حولنا
على الشاطئ ؟ أتريد أن أظل قاعدة فى هذه الغرفة ليل
نهار معك - وأنا أحوك ؟ ألا ترى أن من حقى أن أحاول
أن أسعد بأوقاتى بقدر ما أستطيع !

كريس : لست على حق في هذا الضرب من التسلية - ولا بصحبة
هذا الشخص ... لا .

أنا : ألم أعد الى السفينة كل ليلة على الحادية عشرة !؟ (تخطر
ببالها بعض الخواطر - فتتظر اليه كأنها تتهمة - ثم
تصيح بغضب متزايد) ولكن ، اسمع ! قل لي ما الذى
قصده بقولك هذا الذى قلته الآن ؟ .

كريس : (يجيب مسرعا) لا شيء الا ما قلته يا أنا .

أنا : قلت : لست على حق ، وقلتها بلهجة غريبة . أقول :
اصغ الى انك لا تعنى أن تدس في قولك ان شيئاً مما
لا يحسن كان بيننا . أليس كذلك ؟

كريس : (مرتعبا) لا . يا أنا ! أحلف بالله لا . وانى لم يخطر هذا
بخاطرى أبدا .

أنا : (تهدأ حدتها ، اذ رآته ظاهر الصدق - تعود جالسة)
وليس لك أبدا أن تفكر فى هذا ، حتى ولو شئت
ألا أكلمك أبدا (يعاودها الغضب) ولئن خطر لى ،
أو توهمت ، انك فكرت فى هذا ، لأخلقن الجحيم فى هذه
السفينة ، ولأتركها بسرعة لا تستطيع معها رؤيتى
أو اللحاق بى .

كريس : (مهدئا) هذا مالا يخطر بخاطرى أبدا - (وبعد أن
يتوقف لحظة يعود معنفًا) . لقد تعلمت أن تحلفى .
أترين هذا يليق بفتاة ؟ .

أنا : (مبتسمة ابتسامة هادئة) عفوك ! أنا أدري أنك لم تعتد

هذه اللغة (متهكمة) ولكنها حياة البحر التي حملتني
اليها هي التي علمتني هذا .

كريس : (بسخط) لا لست أنا ، انه ذلك الملاح اللعين هو الذى
علمك هذا اللسان البذى .

أنا : انه وقاد ، لا ملاح .

كريس : (بشدة) وهذا أسوأ مليون مرة ، أقول لك : ان الأشخاص
الذين يشتغلون فى قعر السفن ، يطرحون الفحم للوقود
لهم أقدر من فى العالم ، وأكثر من فيه خشونة وشراسة .

أنا : أنا أكره أن أسمعك تقول هذا « لمات » .

كريس : أوه ، لقد قلت له هذا ، وليس لك أن تظنى أنى أخافه ،
لا لشيء ، الا لأنه أقوى منى (مهددا) انك غير مضطرة
الى أن تأخذى فى عراك هؤلاء الناس بالأيدي ، هناك
طرق أخرى توقفه عند حده .

أنا : (تنظر اليه على عجل محذرة) ما الذى تعنيه ؟

كريس : (بغضب) لا شيء .

أنا : أولى بك ألا تفعل ! لو كنت فى مكانك لما أثرت نزاعا
معه ، اذ ربما نسى مرة أنك شيخ كبير ، وأنتك أبى -
وحيئنذ لا ترى الحظ حليفك .

كريس : (بكره مكبوت) حسن ، واذن دعيه . قد أكون شيخا
كبيرا ولكننى مع هذا سأعلمه درسا أو درسين .

أنا : (مغيرة لهجتها فى الحال - محاولة اقناعه) تعال أو كن
خيرا . ما هذا الذى يأكل نفسك . ألا تريد أن يكون أحد
معى لطيفا غيرك ؟!

كريس : (يتلطف اليها ، وهو يقترب منها - ثم يقول بلهفة)

نعم ، أريد ، يا أنا - ولكنى لا أريد أن يكون من هؤلاء
الذين يعماون فى البحر وانى أحب أن تتزوجى شخصا
يعتمد عليه وله عمل محترم على الأرض ... ان لك منزلا
فى الريف ، هو ملكك وحدك .

أنا : (واقفة على قدميها بجفوة) أوه . كف عن هذا (باحتقار)
بيت صغير فى الريف ! وددت لو استطعت أن ترى
البيت الصغير فى الريف ، حيث تركتنى سجينه فيه
حتى بلغت السادسة عشرة . (ثم بانفعال عنيف) يوما
ما ستصيرنى مجنونة بأحاديثك هذه ، وسأرفع الاحتشام
عنك ، فأحدثك أحاديث تتفتح لها عيناك .

كريس : (محذرا) أنا لا أريد .

أنا : أنا أدري أنك لا تريد ... ولكنك لا تكف عن هذا الحديث.
نفسه .

كريس : واذن فسوف لا أعود للكلام ... يا أنا .

أنا : واذن فعندى أنك ستتلف عن أن تقول ما يسىء الى
ماتبرك ، كلما وجدت سبيلا الى ذلك .

كريس : (مراوغا ، شاكا) ولم ؟ أنت تحبين ذلك الشخص -
كثيرا جدا يا أنا ؟

أنا : نعم ، أحبه .. أحبه ، انه انسان سوى ، ولا أهمية لما له
من أخطاء فى الماضى ، وعندى أن اصبعا واحدة من أصابعه
لتعادل كل المئات من الرجال الذين التقيت بهم هناك -
فى اليايسة .

كريس : (تكسو وجهه سحابة من الغم) ربما ! تظنين أنك تحبينه
اذن ؟ .

أنا : (متحدية) وما في هذا لو فعلته ؟ .

كريس : (يتجههم ، ويقهر نفسه على الكلام) ربما - ظننت أنك -
تتزوجينه .

أنا : (هازة رأسها) لا ! (كريس يتהל وجهه منتعشا -
تستمر في حديثها - متمهلة - وقد اصطبغت نغمتها
بصبغة حزينة) لو أنني قابلته قبل أربع سنوات بل
وحتى قبل سنتين ، اذا لرقصت لحظي آنذاك ، هذا
ما أقوله لك بصراحة واستقامة . وبودي الآن لو أنه -
ما هو الآن الا غر ! انه طفل كبير ، وان قلبي لا يطاوعني
على تضليله واغرائه (تنقطع عن الكلام فجأة) ولكن
عليك ألا تقول أبدا انه لا يصلح لي ، بل اننى أنا التى
لا تصلح له ! .

كريس : (يشخر مظهرا احتقاره) أقسم .. انك جننت !

أنا : (بضحكة حزينة) حسن ، لقد كنت أنا نفسى أفكر فى
هذا فى الأيام القليلة الأخيرة (تتناول قطعة قماش من
الشال معلقة قرب الباب وترميها فوق أكتافها) أرى أن
أتمشى الى نهاية الميناء ، وأرى ما يجرى هناك ، يعجبني أن
أرqb السفن وهى تمر ، أحسب أن « مات » سيكون
هنا بعد قليل . أترى أن تخبره بمكانى ؟ .

كريس : (بيأس) حسن . سأخبره (تخرج أنا من الباب الخلفى
كريس يتبعها ، ويقف لحظة على ظهر الباخرة يتبعها
بنظره ، ثم يعود الى الغرفة ويسد بابها عليه ، يقف مطلا
من الشباك الى الخارج متمتما : « أيها الشيطان الهرم
القذر » ثم يتجه الى النضد ، يعدل غطاءه بصورة آلية ،
ياخذ الجريدة التى تركتها أنا على الأرض ، ويقعد على

الكرسى المتأرجح ، ينظر فى الجريدة لحظة ثم يضعها فوق النضد ، يقبض على رأسه بيديه ويرسل آهة حزينة يسمع وقع خطا ثقيلة لرجل يجىء من ظهر الباخرة ، ثم يسمع طرقا عاليا على الباب . كريس يتهيا ويتحرك كأنه يريد أن يقوم ويذهب الى الباب - ثم يبدو له أن الأوفق أن يظل فى مكانه ، فيظل ساكنا حيث هو - يتكرر الطرق - واذا لا يجاب ، يفتح الباب على مصراعيه، ويرى ماتبرك داخلا .

كريس يقطب فى وجه الداخل المتطفل ، وتمتد يده - من غير أن يفكر - الى الخلف ، الى كفله الى حيث السكين الموضوعة فى غمدها هناك . يظهر برك بلباسه ، بدلة زرقاء رخيصة ، وقميص قطنى مخطط ، ورباط أسود فى العنق ، وحذاء أسود قد لمع منذ برهة - ويبدو وجهه مشرقا بروح مرحة طيبة) .

برك : (حال يرى كريس - بلهجة مرحة ممزوجة بالتهكم) حسن ، بارك الله أولئك الذين ها هنا (ينحنى ، ويضغط جسمه الضخم فى مدخل الباب الضيق) وكيف أنت والدنيا مساء هذا اليوم ، يا أبا أنا ؟ .

كريس : (بتجهم) لا بأس بى - لولا وجود بعض الناس .
برك : (بعبوس) - تعيننى أنا - أليس كذلك . (يضحك) نعم ، لولا أنك حطام مضحك لانسان ... ! (ثم برزانة) وأين هى ؟ (يجلس كريس صامتا عابسا ، وعيناه حائرتان تدوران . برك متأثر بصمته وسكونه) وأين أنا ؟ ! اننى ما زلت أسألك عنها .

كريس : (مترددا - ثم بلهجة المتضايق) قد انحدرت الى نهاية المرفأ .

- برك : سأذهب منحدرًا إليها اذن . ولكن أرى ما دمنا منفردين ،
أن أنتهز الفرصة ، فأقول لك كلمة (يجلس على النضد
مقابلًا لكريس ، منحنيًا نحوه) وهذه الكلمة ... هي أنني
سأتزوج ابنتك أنا ، قبل أن ينقضي هذا النهار ، وربما
كونت رأيك ورأيت ما اذا كنت ترغب أم لا ترغب .
- كريس : (ناظرًا إليه بكره - وقد أرغم نفسه أن يضحك ضحكة
ازدراء واستخفاف) هه - ما أسهل أن يقال هذا !
- برك : تعني أنني لا أستطيعه ؟ (باحتقار) أتظن أن مثلك
يستطيع أن يوقفني دونه ؟ ! .
- كريس : نعم ، سأوقفك ، ولو أدى بي ذلك إلى مالا يحمد .
- برك : (بلهجة الراحم المحتقر) أعانك الله على هذا ! .
- كريس : ولكن لا حاجة لي إلى هذا - إنها أنا ...
- برك : (يبتسم ابتسامة الواثق) أتظن أنها أنا هي التي نوقفني
عن هذا ؟ .
- كريس : نعم .
- برك : وأنا أقول لك إنها لن تفعل ذلك . إنها تدرى أنني أحبها .
وهي تحبني أيضًا ، وأنا أدري بهذا .
- كريس : هه - إنها تلعب وكل ما في الأمر أنها تهزأ بك .
- برك : (غير متأثر .. مسرورًا) هذه كذبة في حلقك ، أصلحك
الشيطان ! .
- كريس : لا ليست بكذبة - إنها أخبرتني قبل خروجها مباشرة ،
بأنها لن تتزوج إنسانًا مثلك .
- برك : لن أصدق هذا ، انك كذاب كبير وانك شيطان تخلق
وسيلة للإيقاع بيننا لو قدر لك ، ولكن ليس هذا

ما أبحث عنه ، وهأنذا جالس هنا (برزانة) دعنا نتحدث
فى هذا حديث الرجل الى الرجل . انك أبوها ، ومن
العار علينا معا أن يأخذ كل منا بخناق صاحبه ، وينكب
عليه ، يعضه ، فعل الكلب بالكلب ، ثم أتزوج أنا بعد
ذلك . لنعترف بالحقيقة وهى أنه ما زال هناك من يتصرف
تصرف الانسان . قل لى : ما الذى تأخذه على ؟ .

كريس : (يهدأ بعض الشيء رغما عنه - بما ظهر من لهجة الاخلاص
فى قول برك - ثم بلهجة الشاك المتحير) نعم ، أنا لا أريد
أن تتزوج أنا - استمع الى أيها الرجل ، أنا رجل عجوز ،
ولم أرها منذ خمسة عشر عاما ، وهى كل ما أملك فى
هذا العالم - والآن وقد جاءتنى فى سفرتها الأولى ،
أتظننى أريدها أن تتركنى وحدى ثانية ؟ ! .

برك : (بعاطفة وشفقة) عساك لا تظن أنى انسان لا قلب له ،
ولا أشاركك الشعور فيما تحس به .

كريس : (متعجبا ، متشجعا بما سمع - محاولا أن يزيد فى
حبته) واذا فستحسن صنعا ، أليس كذلك ؟ . تعود
فتبحر ثانية ، وتترك أنا وحدها (مداهنا) ان امرا له
مثل منزلتك فى البحر ، لا حاجة به الى زوجة . انه يجد
امراة جديدة فى كل ميناء ، وأنت تعرف هذا .

برك : (يغضب لحظة) قاتلك الله ! (يسيطر على نفسه
ثانية - ثم بهدوء) لا أريد أن أسمع لك بالكذب فى
هذا ولكن تولاك الشيطان ! تمر بكل انسان فى البحر أو
فى البر - وليس مجنوننا - فترة ، تعاف نفسه النساء
هؤلاء الأبقار ، ثم يخرج ليلقى بقلبه فتاة جميلة محترمة
يتزوجها ، ويكون له مأوى يسميه بيته ويربى فيه أطفاله

انه سبب ضعيف ذلك الذى تدعونى لأن اترك انا من
أجله . انها المرأة الوحيدة التى تصلح لى فى هذه الدنيا ،
ويبدو لى اننى لا أستطيع أن أعيش الآن بدونها .

كريس : أراهن أنك ستنسى كل شىء عنها فى بحر أسبوع تغادر
فيه الميناء .

برك : انك لا تعرف لى شبيها فيما أنا فيه . ان الموت نفسه
لا يستطيع أن ينسينى اياها ، ولذا فالأجدر بك ألا
تحدثنى فى تركها . لن أتركها . وليس الأمر من السوء
بالقدر الذى تصورته . انها ستتزوجنى . وسنعيش هنا
فى الولايات المتحدة ، وسيتاح لك أن تراها دائما . بل
انك لتستطيع أن تراها أكثر مما كنت تفعل فى
الخمسة عشرة السنة الماضية ، حين ربيت فى الغرب . ومن
العجب أن تكون أنت الذى تقيم الصعوبات ، خشية أن
تتركك وحدك على حين أنك لم تحاول أن تراها ولو مرة
واحدة طيلة تلك السنوات الطويلة .

كريس : (متهما) بدا لى أن خيرا لانا أن تربى بعيدة عنى ، تربى
وتترعرع على الأرض ، ولا تعرف شيئا عن البحر ، ذلك
الشیطان الهرم الرجيم ! .

برك : (باحتقار) أترك تلوم البحر أيضا لمتاعبك أنت ؟! . كان
الله فى عونك . حسن ، لقد عرفته أنا الآن ، وقد أحبته –
على أى حال – بفطرتها أو بدمها .

كريس : ولا أريد لها أن تعرف انسانا يعمل فى البحر .

برك : لقد عرفت واحدا الآن .

كريس : (يضرب النضد بقبضته – ثم بعنف وهياج) وهذا هو

الذى لا أريده - وهذه هي حالتك أنت غير الحسنة -
بحار اتظننى أرى أن تكون حياتها تعسة بسببك أنت
كما كانت حياة أمها تعسة بسببى أنا ؟ لا .. وأنا أقسم
على هذا - وانها لن تتزوجك ، والا قتلتك قبل الزواج .
برك : (ينظر اليه لحظة فى حيرة وعجب - ثم يضحك مقهقهها)
ههو - تبارك الله ! - حديث جرىء يصدر عن قزم صغير
من الرجال ! .

كريس : (مهددا) نعم - سوف ترى ! .
برك : (بتحد ظاهر) نعم ، حقا سأرى . سأرى أننى تزوجت
أنا اليوم . أقول لك : (باحتقار عنيف) انك تحمل آراء
غريبة عن البحر ، فتقول البحر فعل هذا ، والبحر فعل
ذاك وكان عليك أن تخجل أن تقول مثل هذا ، وأنت
نفسك بحار قديم ، وانى طالما سمعت منك الكثير
عنه ، وسمعت أكثر من هذا مما قالته أنا انها سمعته
منك . ويبدو لى من هذا أنك انسان ضعيف مسكين ،
وانك لست بالرجل ! .

كريس : (مكتئبا) سترى ما اذا كنت أنا الرجل كل الرجل -
وما اذا كنت أسرع وأخف مما تظن .

برك : (باحتقار) يا .. لا تتباه . يبدو لى أن رعب البحر
قد أخذ عليك عقلك ، حتى انك لترغب أن تتزوج أنا
فلاحا ، على ما قالت لى هي - انه زواج لطيف أن ترى
فتاة جميلة مثل أنا تنام ليلتها مع رجل ملطخ بالطين ،
تنبعث منه رائحة خبيثة : رائحة السماد ورائحة الحنازير
أو تراها مرتبطة حياتها كلها بأحد أولئك الذين هزلت
أجسامهم وتقبضت وهم يعملون فى المدن .

كريس : هذه كذبة - أيها الأحمق !

برك : هذه ليست كذبة ، وانما هي آراؤك الخطلة التي أعيدها عليك وأنتك في قرارة نفسك لتعرف الحقيقة ، وأن كان خوفك الشديد من البحر قد صير منك جباناً كذاباً (يضرب النضد) ان البحر وحده هو الحياة للرجل تملؤه الحيوية والجرأة ، وهو ليس كذلك للرجل يخاف من ظله . ان الرجل الحق لا يكون حراً الا في البحر . انه يجوب وجه الدنيا يتفرج على ما فيها من أشياء ، ثم لا يحاول أن يؤخر فلسفاً يضيفه الى نقود يدخرها ، ولا يسرق من أصدقائه ، بل ولا أن يتشبث بواحدة من تلك الحيل السود القبيحة ، التي يضيع بها العامل على الأرض حياته . وأنت نفسك - عرفت هذا مرة ، ولقد قضيت - وأنت رئيس الملاحين - فيه سنين .

كريس : (يتعثر غاضباً) لقد قلت لك انك أحمق مجنون .

برك : ابتعدت المرساة - لقد لطمك البحر مرة ، فطرحك ولست بالرجل الذي يستطيع أن يصمد لضربة أخرى ، فبقيت طريحاً بقية حياتك تولول على القاتل (بكبرياء) ألم أكن أنا الذي كاد أن يغرقه البحر ، وقد حطمه وهشمه ! وقد اقتربت من جهنم حتى كدت أسمع فحيح لهيبها ، ومع ذلك فلم تنطلق آهة أو أنة من فمي . وصمدت حتى استسلم البحر ، ورأى في القوة الكبرى ، والحيوية التي ترى في أشد الرجال !

كريس : (باحتقار) نعم ، كنت مارداً من الرجال ، لقد سمعتك تقول هذا .

برك : (بغضب) وستسميني كذاباً مرة أخرى أيها الشيخ ! ألم تكن قصتي كاملة ، وصورتي معها في جرائد بوسطن قبل أسبوع .

(ينظر الى كريس من أعلاه الى أسفله نظرة استخفاف)
نعم ، يحلو لي أن أراك وأنت في عنقوان شبابك ، تقارع ،
على نحو ما قارعت في العاصفة وما بعدها ، اذن لكنت
أراك مخبولا معتوها ، يصطرخ بالخوف حينذاك .

كريس : ههه ! لقد كنت معتوها صغيرا ، فيما مضى من السنين .
عندما كنت في سفينة شراعية . لقد خضت مئات من
العواصف أشنع من عاصفتك تلك - وكانت السفن
سفنا حينذاك ، وكان الرجال الذين يبحرون بالسفن
رجالا ، كل الرجال . والآن ما هذا الذي تراه في البواخر ؟
انك تجد على ظهر السفن رجالا لا يفرقون بين السفينة
تبحر في البحر ، والسفينة عملت لحمل القذارة
والأوساخ (يرميه بنظرة ذات معنى) وفي قاع السفينة
ترى رجالا لا يعرفون غير تعبئة الفحم وجمعه بالرفش ،
على نحو ما يعبأ الفحم في العربات على الشاطئ .

برك : (كالمسوع - بغضب) أترأى ترمى الإهانات على الرجال
في موقد الباخرة - أيها القرد العجوز . قاتلك الله ! ان
واحدا منهم ليعدل عشرة من أمثالك .

كريس : (ينقبض وجهه من الغضب ، وتمتد يده ورائه الى حيث
السكين المغمدة على كفله) أيها الخنزير الايرلندي انت !

برك : (فزعا) وأنت لا تحب الايرلندي ، أيها القرد العجوز !
ان هذا هو ما تحتاج لأن يكون في عائلتك . رجل
ايرلندي ، ووقاد في باخرة - وحينئذ لا يكون لك أحفاد
رعاديد جبناء ، حمقى ، على شاكلتك .

كريس : (نصف قائم من كرسيه - في صوت يغص بالغضب)
أنت انتبه ! .

برك (يراقبه - وعلى شفتيه ابتسامة الساخر) هذا ما سيكون
ولا عبرة بما ستفعل لمنعه ، لأننى أنا وأنا سنتزوج اليوم
وليس فى وسع خرف عجوز مثلك أن يوقفنا ، مادمت
قد وطدت العزم عليه .

كريس (بصرخة مرعبة) انت لا تستطيع هذا ! (يلقي بنفسه
على برك ، دافعا كرسيه الى الوراء والسكين فى يده . برك
يففز مسرعا على قدميه متقيا الهجمة . يضحك ضحكة
المحب للحرب ويكون السويدي العجوز كالطفل فى يديه .
برك لا يضربه ولا يحاول الاساءة اليه بحال من الأحوال .
ولكنه ببساطة يلوى يده اليمنى الى خلف ظهره ، ويأخذ
السكين - رغما عنه - من أصابعه ، يرمى السكين فى
زاوية بعيدة من الغرفة - ثم معيرا) .

برك : ان الشيوخ الذين نكسوا كالأطفال ، ليس لهم أن يلعبوا
بالسكاكين (حافظا كريس الذى ظل يصارع ، على بعد
ذراع منه - ثم يرفع قبضته فى سورة من الغضب
مفاجئة) أوشك أن ألطمك لطمة تضع العقل فى رأسك
الأخرق . ابعد عنى الآن - وهأنذا أنبهك وأحذرك
(يدفع كريس بيده المفتوحة ، فيندفع السويدي العجوز
الى الوراء مترنحا على حائط الغرفة ، ويظل واقفا فى
مكانه من الحائط يلهث وعيناه تنظران بكره الى برك -
كأنه يستجمع قواه ليعيد الكرة ، وينقض عليه مرة
أخرى) .

(برك محذرا) والآن ! أقول لك : لا تقترب ثانية ،
والا تركتك على الأرض ممددا بضربة . وانك وان كنت
والد أنا نفسه الا أن صبرى قد نفذ (ثم بضحكة مرحة)
نعم انك شيخ شجاع ، ولم يدر فى خلدى أنك كنت تهتم
أن تنازلنى وحدك ، (ظل يجتاز شبابيك الغرفة فيتطلع
الرجلان اليه . تظهر أنا فى مدخل الباب) .

أنا : (بسرور غريب وهي تنظر الى برك) هلو ! مات . هل
جئت منذ زمن الى هنا ! لقد كنت نازلة ... (تقف منقلة
نظرها بينهما ، كأنها أحست في الحال أن شيئاً قد حدث)
ماذا جرى ؟ . (ناظرة الى الكرسي المقلوب - محذرة)
كيف انقلب ذلك الكرسي ؟ . (تلتفت الى برك موبخة)
انك لم تكن فى عراك معه ، يا مات .. بعد أن وعدت ! .

برك : (كما كان من قبل) اننى لم أضع يدا عليه يا أنا (يذهب
الى الكرسي فيقيمه ، ثم يعود ثانية الى أنا التي ما زالت
تبدو متسائلة - ثم فى ابتسامة الواثق) أرجو ألا يزعجك
هذا أبدا . انها لم تكن الا محاورة أردنا أن نمضى بها
الوقت ريثما تأتين .

أنا : لا بد أن تكون محاورة من نوع جعلتك ترمى بها الكراسي
(تلتفت الى كريس) لم لا تقول شيئاً ؟ . فيم كان الأمر ؟
كريس : (متراخيا - كأنه يهرب من عينيها - ثم بلهجة الطفل)
كنا نتحدث عن السفن ، والرجال الذين يعملون فى
البحر .

أنا : (تبسم ابتسامة المنتعش) آه - الحديث القديم اليس
كذلك !

برك : (كأنه قد انتهى الى قرار حازم فى الحال - ثم بلهجة
المتحدى لكريس) انه لم يخبرك بالقصة كلها ، لقد كان
جدلنا يدور حولك .

أنا : (بعبوس) يدور حولى أنا ! .

برك : وسنحاول أن نفرغ منه الآن هنا ، وبحضرتك ، اذا رغبت
(يجلس على الناحية اليسرى من النضد) .

أنا : (منقلبه بصرها - في شيء من الشك - بينه وبين أبيها)
نعم ، قل لي القصة كلها .

كريس : (متقدما الى النضد - محتجا على برك) لا تفعل ، أنت !
أنا . قولي له انك لا تريد أن تسمعي حديثه .

أنا : ولكني أريد ... أريد أن توضح لي القصة كل الايضاح .

كريس : (خائفا متخاذلا) أجل ، ولكن ليس الآن ، على أية حالة ،
كنت تريد الذهاب الى الشاطئ ، نعم ؟ وقد لا تجدني
الوقت الكافي .

أنا : (مصرة) نعم ، الآن ، وهنا (تلتفت الى برك) أخبرني
بها أنت يامات ما دام لا يريد أن يخبرني بها هو .

برك : (متحسرا - ثم بشجاعة) القصة كلها بالفاظ قليلة هي
أنه يكره أن يراني ، واني قلت له في وجهه انني أحبيتك !
(ثم بعاطفة وتأثر) وهذه هي مشيئة الله يا أنا ، وأنت
تعرفين هذا جيدا .

كريس : (بازدراء - متكلفا الضحك) فهو ! انه يقول هذا لكل
فتاة يلقاها في كل ميناء .

أنا : (منكشمة مما سمعته من أبيها - بامتعاض) اطبق فمك ،
ألا تقدر ؟ . (ثم الى برك - بعاطفة) أنا أدري أنه الحق
ما قلته أنت ، ولا أبالي ما قاله هو .

برك : (شاكرا بتواضع) بارك الله فيك ! .

أنا : ثم ماذا ؟ .

برك : ثم (يتردد) ثم قلت (ناظرا اليها نظرة المستعطف)
قلت انني متأكد - قلت له انني يبدو لي أنك تضميرين
لي بعض الحب أيضا (بعاطفة ورجاء) قولي نعم يا أنا !

وعساك - اكراما لله - لا تقضين على قضاء مبرما (يأخذ
يديها كلتيهما بكلتا يديه) .

أنا : (تضطرب متأثرة متأثرا عميقا - ثم تتكلف أن تضحك
ضحكة مرتجفة) واذن ، فقد قلت له يامات فلا غرو أن
يجن جنونه (متكلفة الاستمرار فى الحديث) نعم ،
ربما كان هذا صحيحا يامات ، وربما كنت أحبك ، لقد
كنت أدير هذا فى خاطرى المرة بعد المرة ! - أنا لا أريد
يا مات أن .. لقد كنت أريد أن أنتهى من هذا - ولكن
(تضحك ضحكة اليأس) يبدو لى ألا مفر لى منه على أية
حالة ، ولذا يبدو لى أنى أحبك يامات (ثم متحدية بسرور)
نعم أحبك كل الحب - وما الفائدة فى أن أخادع نفسى
نعم أحبك كل الحب يامات .

كريس : (صارخا صرخة المتألم) انه (يترامى منها را فى مقعده) .
يرك : (باخلاص عميق فى صوته ، وهو يتواضع معترفا
بالجميل) تبارك الله ! .

أنا : (مؤكدة) وانى لم يسبق لى أن أحببت انسانا فى حياتى
من قبل - ولك أن تعتقد هذا ، وليكن بعد ذلك ما يكون !

يرك : (يتقدم اليها ، ويلفها بذراعيه) نعم ، بالتأكيد أصدق
كل كلمة قلتها أو ستقولينها ، وستكون لى ولك حياة
جميلة لطيفة نحيها الى آخر أيامنا (يحاول تقبيلها .
تبعد رأسها عنه أول الأمر - ثم تعود مغلوبة بشعور
عميق من الحب العاطفى فتأخذ رأسه بيديها ، وتمسك
بوجهه تدنيه من وجهها ، ناظرة فى عينيه ، ثم تقبله من
وسط شفثيه) .

أنا : (وهى تدفعه عنها - متكلفة ضحكة كبيرة) مع السلامة !
(تمشى الى الباب ، ثم تقف ناظرة الى الخارج مولية
ظهرها . ترتجف كتفاها مرة بعد مرة كأنها تصارع
انفعالاتها وهى تنشج) .

برك : يصعب أن تجد حتى فى سماء الله السابعة ما تفسر به
الفاظها تفسيراً صحيحاً (ثم بضحكة) مع السلامة !
أليس كذلك . يا لهذا القول ! سأعود اليك بعد لحظة
واحدة لأحظى بما حظيت به مرة أخرى (ثم الى كريس
الذى أسرع منتبهاً الى قول ابنته مع السلامة ، راح
يتبعها بنظراته وبعينيه أمل اليأس) والآن ، أيها الشيخ
العرييد ، ما الذى تقوله لى ! لقد سمعت القول من شفيتها
فاعترف بأننى غلبتك . كن كالرجل يغلب فى كفاح عادل
ويظل لطيفاً ، وهذه يدي أمدّها اليك (يمد يده اليه)
وعساك تأخذها ، وتتصافح ، وننسى ما حدث وانتهى ،
ونكون صديقين منذ الآن ...

كريس : (بكره واضح) لا أضافحك أيها الرجل مادمت حياً .
برك : (متألماً) واذا فأنا أعطيك ظهر يدي ، وربما كان هذا
أنسب لك (مزمجرأ) ما أقبحك مراهننا يخسر الرهان !
أصلحك الشيطان ! .

كريس : اننى لم أخسر (يحاول أن يظهر بمظهر المزدري له) ان
أنا قالت انها تحبك بعض الحب ، وأنا أراهن أنك لم
تسمعها قالت انها ستتزوجك (أنا تلتفت اليهما حين
تسمع اسمها ، تلوح فى وجهها الرزاة والهدوء ، ولكنه
هدوء اليأس المميت) .

برك : (بازدرأ) لا ، ولم أسمعها تقول : ان الشمس طالعة
أيضاً .

- كريس : (بشراسة وعناد) هذا حسن ! وهى لم تقله أيضا .
- أنا : (هادئة - تقترب منهما) لا ، أنا لم أقل ذلك يامات .
- كريس : (بلهفة) والآن ! أسمعت ! .
- برك : (غير فاهم ما قصده - ثم يتجههم) أتعنين أنك ستنتظرين حتى تسألى ؟ . حسن هأنذا أسألك الآن . وسنتزوج - بعون الله - هذا اليوم ! .
- أنا : (برفق) ألم تسمع ما قلته يامات - بعد أن قبلتك ! .
- برك : (وقد تنبه الى شىء فى لهجتها) لا - لا أتذكر .
- أنا : لقد قلت لك : « مع السلامة » (بصوت مرتجف) . كانت القبلة ، لعبارة : مع السلامة « يامات » .
- برك : (مروعا) ما الذى تعنيه بهذا ؟ .
- أنا : أنا لا أستطيع الزواج منك يامات ، ولقد قال كل منا لصاحبه : مع السلامة ، وفى هذا الكفاية !
- كريس : (غير قادر على كتمان سروره الشديد) لقد عرفت هذا ، وكنت أعرف أن الأمر سيجرى على هذا النحو .
- برك : (يقفز واقفا على قدميه - غير مصدق ما تسمعه أذناه) أنا ! - أتريدين أن تجعلى منى العوبة ؟ ليس هذا أوان المزاح معى ، وأرجو - اكراما لله - ألا تفعلنى هذا .
- أنا : (تثبت بصرها فيه) أظننى مازحة معك ؟ . لا لست مازحة يامات ، وانى أعنى ماقلته .
- برك : أنت لا تمزحين ! أنت لا تستطيعين أن ... أقول لك انك حمقاء ان فعلته !
- أنا : (باصرار) لا ، لست كذلك .

برك : (بيأس) ولكن ما الذى طرأ عليك فغيرك هذا التغيير السريع ؟ . لقد كنت تقولين انك تحبيننى .

أنا : وسأقول هذا كلما أردتني أن أقوله . وانه لهو الحق !

برك : (متحيرا) واذا لم ؟ . . والشيطان ! - آه أعاننى الله !

اننى لا أستطيع أن أعرف لهذا رأسا ولا ذنبا ، أبدا !

أنا : وأنه أحسن ما اهتمديت اليه يامات . (يتهدج صوته)
لقد كنت أدير هذا فى رأسى ليل نهار طوال الأسبوع ، فلا تظنن أن هذا باليسير على أيضا ، يامات !

برك : قولى لى بالله عليك ! ما الذى يمنعك من زواجى ، فى حين أن كلا منا يحب صاحبه . (تخطر بباله خاطرة ، فيشير الى كريس - حائقا) أترارك أخذت بأقوال ذلك الشيخ الحرف ، وهو يكرهنى ، فملاً سمعك بالأكاذيب عنى .

كريس : (واقفا على قدميه ، يضطرب هائجا ، بنشوة الانتصار ، قبل أن يكون المجال لانا لأن تقول كلمتها) نعم ، أنا تصدقنى ، وليست مثلك ، وانها تعلم أن أباه الشيخ لا يكذب مثلك !

أنا : (ملتفتة الى أبيها بغضب) اقعد أنت ، ألا تسمع !؟ انك تدخل نفسك على الامور فتزيدها سوءا . أنت كالشيطان (بفضاظة) تبارك الله ! وكنت أخذت أحبك وأخذت فى نسيان ما لا يرضينى منك .

كريس : (متراجعا متخاذلا بضعف) انك لم تحفظى عنى ما لا يجب يا انا .

أنا : لم احفظ عنك . . . حسن ، دعنى أخبرك . . (تنظر الى برك وتسكت فجأة) قل ، يامات ، اننى متعجبة منك ، ألا تتذكر شيئا مما قال ؟

- برك : (عابسا) نعم ، وماذا يكون أكثر من هذا ؟
- أنا : أتظننى أعرت أى انتباه كل هذا الهذر ! . يا . . . لقد كنت تتصورنى طفلة فى الخامسة من عمرها .
- برك : (يتحير ، ويأخذ فيه التأثير والانفعال بأقوالها) أنا لا أدرى كيف أتصورك ، ولا كيف أعاملك وأنت تقولين هذا الآن ، ثم ما تلبثين أن تقولى سواء بعد لحظة .
- أنا : حسن ، لا شأن له بكل هذا .
- برك : واذن ما شأنه . قولى ، لى ، ولا تتركىنى منتظرا ، فالانتظار يقتلنى .
- أنا : (بعزم) لا أستطيع أن أقول لك - بل ولا أريد ، وعندى لهذا سبب هام - وهذا هو كل ماأنت بحاجة الى معرفته . أنا لا أستطيع أن أتزوجك ، وهذا كل ما فى الأمر (متحيرة) ولذا ، بالله عليك ، دعنا نتحدث فى موضوع آخر غير هذا .
- برك : لن أفعل هذا (ثم بخوف) أتراك قد تزوجت أحدا ... فى الغرب مثلا ؟ ! .
- أنا : (بعنف وشدة) أقول : كلا . !
- برك : (مستعيدا ثباته) نطرح بالأسباب الأخرى كلها الى الشيطان اذن ، وهى لا تهمنى كثيرا ولا قليلا (ينهض واقفا على قدميه ، وقفة الواثق بنفسه ، ثم بصوت المسيطر) أراك كالنسوة اللواتى لا يستطعن أن يصلن بأنفسهن الى رأى قاطع الا أن يسقن اليه سوقا - حسن اذن ! أنا الذى سأسرع فأصل بك الى قرار سريع حازم (يأخذها بذراعيه ، متمتما مثلطفا) لقد تحدثنا بما فيه

الكفاية ، فهيا اذهبي الآن الى غرفتك ، لترتدي أحسن لباسك ثم نذهب معا الى الشاطئ .

كريس : (ينهض - غاضبا) لا والله لن تفعل هذا (يمسك باحدى ذراعيها)

أنا : (وقد أصغت مستغربة الى ما قاله برك - تتراجع عنه ، نافرة من لهجته ، ولكنها غير متأكدة فيما اذا كان جادا أو غير جاد فيما قال - تقول بلهجة المقاوم) قل لي كيف ساغ لك هذا ؟ .

برك : (بلهجة الأمر) لا عليك الآن ، اقول لك اذهبي والبسي . (ثم ملتفتا الى كريس) سنرى من الذى يربح آخر الأمر ، أنا أم أنت .

كريس : (الى أنا - بلهجة الأمر أيضا) لا تبرحى مكانك يا أنا - أتسمعين ؟ ! .

(أنا تنقل بصرها بينهما ، ويبدو أن كلا منهما قد أضاع صوابه - ثم تبدو فى وجهها ملامح الهازيء الساخر) .

برك : (بشدة) لن تمتثل وستمتثل الى ما قلته ، لقد كنت أنت المتحكم فيها طويلا من قبل ، وقد جاء دورى الآن .

أنا : (بضحكة عنيفة) دورك ؟ ! . ونم ماذا أكون اذن ؟ .

برك : ليس الأمر ما أنت عليه الآن ، بل ما الذى أنت صائرة اليه . فى هذا اليوم سيكون زواجنا قبل أن يغشانا الليل - استعجلي الآن وهيا الى ملابسك .

كريس : (بلهجة الأمر) ما أنت بفاعلة شيئا واحدا مما قال ، يا أنا (أنا تضحك ساخرة) .

برك : ستفعل ، واذن ...

كريس : أنا أقول لك انها لن تفعل ، أنا أبوها .
برك : ستفعل رغما منك ، وهى من الآن ستمثل أوامرى
لا أوامرك .

أنا : (تضحك ثانية) الأوامر حسنة !
برك : (ملتفتا اليها ، وقد نفذ صبره) استعجلى الآن ، وهزى
قدمك للقيام ، ليس لنا من الوقت ما نبدده (ينفعل
حين يراها لا تتحرك) أسمعت ما كنت أقوله لك ؟ .

كريس : ابقى ، ولا تتحركى يا أنا .
أنا : (وقد نفذ صبرها - تنفجر فيهما منفعة) تستطيعان -
كلاكما - أن تذهبا الى جهنم ! (يلمحان فى صوتها غرابة
تجعلهما ينسيان شجارهما ويلتفتان اليها بشيء من
الحيرة . أنا تضحك ضحكة غريبة) . أنتما كبقية أولئك
الرجال ! أنتما كلاكما ! يا الهى ! أكنتما تحسباننى قطعة
من الأثاث ! سأريكما ! اقعدا الآن (يترددان - فتصيح
فيهما بشدة) اقعدا ، ودعانى أحدثكما دقيقة . كلاكما
مخطيء ، أرايتما هذا ؟ استمعا الى وسأحدثكما حديثا ..
ثم أترككما (مشيرة الى برك - وبضحكة فظة) سأقص
عليك قصة غريبة - فاستمع لها ! (مشيرة الى كريس)
ولقد هممت مرارا أن أرفع احتشامى منه ، حين كان
يغضببنى بكلامه السخيف حول الاحتفاظ بى أمينة سالمة
فى البر ، فأحدثه بما لا أحب أن أتحدث به ، وما كنت
لأفعل ذلك ، لولا اننى اضطررت اليه اضطرارا . انه
ليس من الصواب أن ألجأ الى هذا ، على أنه ربما كان فيه
علاجكما ، شأن غيركما من الرجال (ملححة فى التهمك
والازدراء) لا تنس ما قلته قبل دقيقة ، وهو انك لا تهملك

الأسباب ، أيا كانت ، ما دمت غير متزوجة - انسانا آخر من قبل .

برك : (برجولة) كانت تلك كلمتى ، وسأظل محافظا عليها .

أنا : (تضحك بمرارة) أى فرصة هذه ! انك تضحكنى بها ، أقسم بشرفى ، ألا تريد أن تراهن أنك ستظل عند كلمتك ! انتظر وانتظر (تقف فى مؤخرة النضد ، تنقل بصرها بين الرجلين ، وهى تنظرهما بابتسامة الساخر ، ثم تأخذ فى مصارعة انفعالها ، فتبدأ فى الكلام هادئة رزينة) أولا ، قبل كل شئ ، أريد أن أحدثكما أيها الرجلان ، بشئ ! كنتما تتحاوران كما لو كان أحكما يريد أن يمتلكنى . ولكننى لا يمكن أن يمتلكنى انسان ، رأيتما ؟! ... أنا أتصرف فى نفسى كما أشاء . سأفعل ما يسرنى ، وليس لانسان - كائنا ما كان - أن يخبرنى بما يجب أن أفعل ، وما أنا بسائلة أيا منكما اعالتى . بوسعى أن أحصل - بهذه الطريقة أو تلك - على ما أعيش به ، وأنا سيدة نفسى . ولذا فأرجو أن تديرا الراى فيما توهمتماه !

برك : (محتجا) اننى لم أكن قصدت الى هذا أبدا ، وأنت تعلمين ذلك جيدا ، وليس لك أن تثيرى هذا الشغب والشجار على (مشيرا الى كريس) اما هو فلك الحق فى أن تثيريه عليه .

أنا : سيكون لى شأن معه . ولكن أنت - قد قصدت الى ما أشرت اليه أيضا ، لقد أحسست هذا منك - وما أنت الا كغيرك من الرجال (بانفعال جنونى) ولكن ! كف عن هذا واسكت ، ودعنى آخذ الحديث بموضوع آخر .

برك : انه كلام غريب فظ - وكبير أن يصدر مثله من فتاة محتشمة مثلك !

أنا : (تضحك ضحكة فظة) محتشمة !؟ . ومن الذى قال لك
اننى كنت كذلك ! .

(كريس جالس وقد حنى كتفيه ، ووضع رأسه
فى راحتيه تنحنى اليه وتهز كتفيه بعنف) لا تنم أيها
الشيخ ، واستمع الى فأنا مكلمتك الآن .

كريس : (يتطلع ببصره الى الأمام والجوانب كأنه يبحث عن مهرب
ثم يصرخ بينهاها وهو خائف) أنا لا أريد أن أسمع ذلك -
أراك فقدت صوابك يا أنا .

أنا : (بعنف) حسن ، أن العيش معك كفيل بأن يخرج كل
انسان عن طوره ما أجمل ما عندك من هذر عن الريف !
ألم أكتب اليك سنة بعد سنة ، أى حياة قدرة كانت ،
وأى أمة « ذليلة » جعل منى أبناء خالى !؟ وما أهمية ذلك
كله عندك . لا شيء . بل انها لم تبلغ بك الى حد أن تأتى
الى فترى حالتى ، تلك الرغبة الجامحة المجنونة فى أن
تبعدنى عن البحر ... انك لا تريد أن تزعج نفسك بأن
تكون مسئولا عنى ، وما أنت الا كغيرك من الرجال .

كريس : (بضعف) ان الأمر لم يكن كذلك يا أنا .

أنا : (غير ملتفتة الى ما قال - تتحدث كأنها تنتقم لنفسها)
على أن هناك أمرا واحدا لم أكتب اليك به . كان واحد من
أبناء الخال - الذين كنت تحسبهم على جانب كبير من
الطيبة والوداعة ، كان الأصغر ، « پول » هو الذى اعتدى
على عفاى (يرتفع صوتها) ولم يكن لى ذنب فى هذا
لقد كرهته كرهى لجهنم ، وهو يعرف هذا ، ولكنه كان
ضخما قويا (مشيرة الى برك) مثلك !

(برك وقد هم بالوقوف وأعد قبعته) يا للهول ! (يتهاوى
فى كرسيه ثانية ، تبدو أطراف أصابعه فى قبضة يده
مصفرة مبيضة ، ويبدو الصراع فى وجهه لضبط
ما يعانيه من حزن وغضب) .

كريس : (فى صرخة من الرعب والألم) أنا .

أنثا : (تتحدث اليه ، وكأنها لم تسمع مقاطعتيها لها) كان
هذا هو السبب الذى من أجله هربت من المزرعة ، وكان
هو الذى دعانى لأن أشتغل ممرضة فى مستشفى « سنت
بول » (بضحكة فظة ساخرة) وكنت أنت تظن أن هذا
عمل حسن لفتاة ، أيضا ، أليس كذلك ؟ (متهمكة)
حسن لكل أولئك الأشخاص الطيبين الذين يعيشون على
الأرض ، والذين - على ما أتصور - يتطلعون الى فرصة ،
تتيح لهم ، أن يتزوجوني ! أى فرصة هذه ، وأى حظ
هذا ! لم يكونوا متطلعين الى الزواج . (يطلق برك آهة
غضب تند عنه - مستمرة بلهجة اليأس) أنا أعترف بكل
ما هو حسن عدل ، أقول لك اننى كنت حبيسة كما
لو كنت فى سجن ، وكنت أعنى بأطفال بعض الناس ،
مستمعة اليهم ييكون ويصرخون ليل نهار ، وحين كنت
أريد أن أتركهم ، كنت أشعر بوحشة ووحدة ، وحشة
ووحدة كأنهما الجحيم (يتضاءل صوتها كأنها أصيبت
بانهيار مفاجئ) وأخيرا كفت وسلمت ! ثم ماذا كانت
الفائدة ! . (تتوقف وتتطلع الى كل من الرجلين ، كان
كلاهما صامتا لا يتحرك . يبدو كريس فى حالة مريعة
من اليأس ، وقد تساقط بيته المبني من الورق حوله ، برك ،
يطفح وجهه بالغضب يأكله أكلا ، ويبدو بشكل الحائر
الذى لا يجد متنفسا لما هو فيه ، يكون صمتهما باعثا

لأنا على تحسد قاس عنيف) انكما ، كليكما ، لم تقولا كلمة ، ولكننى أدرى ما يجول بخاطر كل منكما . ما أنتما الا كغيركما من الرجال ! (الى كريس - بعنف وغضب) ومن المألوم فى هذا . أنا أم أنت ؟ لو أنك فعلت ما يفعل الرجال - بل لو كنت كبقية الآباء وكنت معك ، لو كنت كذلك لتغير وجه الأمور .

كريس : (فى حالة عنيفة من الانفعال) لا تتحدثنى على هذا النحو يا أنا ، لقد جننت أنا ، ولا أريد أن أستمع اليك (يضع يديه فى ذنيه) .

أنا : (ماثرة بما فعل - مصرة) ولا بد أن تصغى أيضا ! (تنحنى بعض الشيء عليه وتجرب يديه من أذنيه - ثم بحالة غضب عنيفة) أنت - تظن أنك تحفظنى آمنة فى المدينة ! اننى لم أكن مربية أطفال فى السنتين الأخيرتين ، لقد كذبت عليك حين كتبت لك هذا . لقد كنت فى بيت هكذا كنت ... ! نعم ذلك النوع من البيوت - التى يذهب اليها الملاحون أمثالكما فى الموانئ ويذهب اليها رجال اليايسة ، الذين تنعتهم أنت « باللطف » أيضا - وكل الرجال .. لعنهم الله ! أنا أكرههم وأمقتهم (تنفجر باكية ، وهى تنشج فى حالة عصبية شديدة ، تلقى بنفسها على الكرسي مغطية وجهها بيديها متكئة بهما على النضد . يقفز الرجلان واقفين) .

كريس : (ينشج باكيا كالطفل) أنا ! أنا ! هذا كذب ، هذا كذب ! (يقف يعصر إحدى يديه بالأخرى ، وهو ينشج ويبكى) .

برك : (يتصلب جسمه الضخم منكشبا ... ثم بحيرة) واذا هذا ماكان !

أنا : (رافعة رأسها حال سماعها صوته - ثم بتهكم وازدراء بالغين) أظنك تتذكر وعيدك يا مات . بأن لا شيء من الأسباب يستحق أن يحسب له حسابه ما دمت غير متزوجة من قبل . ولذا فاحسبك ما زلت تريدني أسرع في لباسي لأذهب معك الى الشاطئ ، أليس كذلك ؟ !
(تضحك) نعم ، أحسبك كذلك !

برك : (على وشك أن ينفجر وينهار - متعتعا) جازاك الله وقاتلك !

أنا : (تحاول أن تستمر في نغمتها الشديدة المرة السابقة ، ولكنها تسمح لنغمة دفاع لينة أن تدب في صوتها شيئا فشيئا) بدا لي أن لو حاولت أن أكتم عنك هذا - لما صدقتني بعدها أبدا ، أليس كذلك ؟ . نعم ، لا تصدقني أبدا ، ولو أنني قلت لك انني بخروجي الى سفينة الشحن هذه ، وبقائي في البحر قد تغيرت عما كنت عليه قبلا ، وصرت أنظر الى الأمور بغير ما كنت أنظرها من قبل ، وكأن كل ما حدث لي من قبل قد امحى ، حتى كأنه لم يحدث لي أبدا - لو انني قلت لك هذا لضحككت مني ، أليس كذلك ؟ بل ربما كنت تموت ضحكا ، لولا أنني في مقابلتي القريبة لك ، في تلك الليلة ذات الضباب ، وفيما بعدها . صرت أشعر لأول مرة أنك الصق انسان نبى ، وانني صرت أشعر أنني أقابلك وكأنك صنف آخر من الرجال ، من رجال البحر الذين يختلفون عن رجال البر اختلاف الماء عن الطين ، - وهذا ما جعلني أحبك وأصبح أشد ما أكون التصاقا بك أيضا .

لقد أردت أن أخدعك ، ولكن قلبي لم يطاوعني على

هذا ألا ترى كيف تبدلت وتغيرت ؟! اننى لم أستطع الزواج منك وأنا أشعر أنك صدقت ما قلته وأنا كاذبة - وكنت أخجل أن أصارحك بالحقيقة - كنت كذلك حتى أرغمتمانى ، كلاكما ، على أن أقول انكما عندى كبقية الناس . والآن فقد آن لك أن تخصمنى ، وتتركنى وتبتعد وهذا ما أراك فاعله .

(تتوقف عن الكلام ناظرة الى برك . وهو صامت ، قد حول وجهه عنها . وصارت ملامحه تتقلب بانفعاله - تستمر بعاطفة وانفعال) أتستطيع أن تصدقنى اذا قلت : ان حبك قد طهرنى . وان هذا ، وأنا أقسم لك ، انه الحق الصراح . (واذا لا يجيب - تستمر بمرارة) فلتكن كجهنم ما أنت الا كبقية الرجال !

برك : (منفجرا - ملتفتا اليها بصورة شديدة من الغضب - يقول بصوت مرتجف) كبقية الناس ، أليس كذلك . لعنك الله ! طاهرة ، أليس كذلك ؟ . أيتها العاهرة ! لأقتلنك الآن ! (يلتقط الكرسي الذى كان جالسا عليه ، يرفعه عاليا فوق كتفه ، ويقفز اليها . كريس يندفع اليه بصيحة من الذعر محذرا ، محاولا أن يرد الضربة عن ابنته . أنا - محمقة فى عيني برك ، تنظره ، غير خائفة ، نظرة اليائس . برك يصد نفسه عنها فيظل الكرسي فى الهواء) .

كريس : (بفضاظة) مكانك ! أيها المجنون ! أتريد أن تقتلها .
أنا : (تدفع أباهما بخشونة ، وتظل عيناها محمقتين فى عيني برك) ابتعد عن هذا ! (الى برك - بفضاظة) حسن ، ألم تكن فيك القدرة لتتم فعلتك ! .

امض فى سبيلك ! وأقسم بشرفى اننى سأكون شاكرة
لك لو فعلت ... لقد عافت نفسى هذه الدنيا وما فيها !

برك : (يلقى بالكرسى ناحية فى زاوية من زوايا الغرفة) فى
شبه استغانة) لم تطاوعنى نفسى - لى الله - وعيناك
محدثان بى (بغضب وشدة) ولو اننى كنت أفكر فان
لى الحق فى أن أكسر رأسك كما تكسر البيضة الفاسدة .
أفى الدنيا كلها امرأة واحدة بها ما بك من دنس ! . وهل
فى الدنيا كلها رجل واحد خدع مثل خديعتى فيك ؟
كنت أجيل خواطرى فيك ، مولها بحبك حالما أجمل
الأحلام بالحياة السعيدة التى نحيها حين نكون زوجين
(يتقطع صوته بما يشبه النواح) يا الهى ! عونك
يا الهى ! لقد تهدمت ، وتقطع قلبى قطعاً ، وانى أسأل
الله نفسه ، أكان هذا هو الذى من أجله جعلنى أجوب
الأرض منذ بلغت مبلغ الرجال حتى أصل الى هذا العار
الأسود آخر الأمر الى حيث صيرنى أحب بهذه القوة
البالغة من الحب امرأة ككل النساء اللواتى نلقاهن فى كل
بيت من بيوت الدعارة القدرة فى كل ميناء ! نلقاهن
بأثوابهن الحمر ، وبالأصباغ على شفاههن وأوجهن
الكالحة وقد هيأن أنفسهن للنوم مع كل رجل لقاء درهم
أو درهمين !

أنا : (تصرخ ، وكأنها صعقت) لا تقل هذا يا مات . بالله
عليك ، لا تقل . (تضرب النضد منفعة بيديها) أخرج
من هنا واتركنى وحدى ! ابتعد عني !

برك : (يسرع اليه غضبه) نعم ، سأخرج من هنا ، وسأشرب
من الخمر ما يغسل قبلاتك السود من شفتى ، وسأكون
من السكر بحيث لا أتذكر فيما اذا كنت قد خلقت أصلاً ،
ولأحملن نفسى فى قارب يلقى بى فى الطرف الآخر من

هذا العالم ، حيث لا أرى وجهك أبدا (يتوجه الى الباب)

كريس : (وقد كان واقفا بحالة ذهول - يأخذ بذراع برك يمسكه فجأة - ثم ببلادة) لا تخرج ، وأرى أن الأولى أن تتزوجك أنا الآن .

برك : (يدفع كريس ويبعده عنه - وفي سورة من الغضب) دعنى أخرج ، أيها القرد العجوز ، تقول لى تزوجها ! أليس كذلك ؟ . أولى لى أن أراها تشوى على النار فى الجحيم ، وأقول لك اننى سأبحر الآن وأولى بعيدا عنكم (مشيرا الى أنا - بعاطفة) أنا ألعنك ويلعنك الله العظيم ! ويلعنك القديسون كافة ! لقد هدمتنى وقضيت على اليوم ، وانى أدعو عليك بأن تقضى لياليك الطويلة ساهرة يجفوك النوم ، وتعذبك الخواطر فى ماتبرك ، وما جنيت من ذنب عظيم عليه !

أنا : (فى كرب وحزن) مات ! (يتجه الى الباب ، ويخطو خطوة واسعة الى الخارج ، من غير أن ينطق بكلمة واحدة ، أنا تنظر اليه بوله ، ثم تنهيا لتركض ورائه ، ثم تغشى وجهها بيديها ، وهى تنشج . كريس يقف ذاهلا مطرقا فى الأرض) .

كريس : (يتردد ، ثم ببلادة) وأرى أن تذهبا الى الشاطئ ، أيضا !

أنا : (تتطلع اليه ثم بعنف) لا تعد ورائه ! دعه يذهب ! ألا تتجاسر .

كريس : (مغموما) أريد أن أذهب الى حيث أجد الخمر .

أنا : (بضحكة فظة) واذن ، فأنا التى تدفعك الى الشراب أيضا ، أليس كذلك ، يبدو لى أنك تريد أن تغرق نفسك فى الشراب ، لتنسى مثل ما ينسى .

كريس : (ينفجر - ساخطا) نعم ، أريد ، وهل تحسبن أننى كنت أحب أن أسمع ما فهِت به . (ينفجر باكيا) ما كنت أحسبك من هذا الصنف من النساء ، يا أنا !!

أنا : (هازئة) كنت أحسبك تريدنى أن أذهب أليس كذلك ؟ انك لا تريدنى أن أظل هنا ، فأجلب العار لك ! هذا ما أظنه .

كريس : لا . ظلى فى مكانك هنا (يتقدم اليها يربت كتفها ، والدموع تنهمر على وجهه) لم يكن ذنبك هذا يا أنا . أنا أعرف هذا . (تتطلع اليه متلطفة ، فينفجر فى غضب) أنه البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ، هو الذى سبب لى كل هذا . (يهز قبضته ، كأنه يريد أن يضرب الباب) انها حيلة القبيحة القدرة ! كان لا بأس بأن نعيش فى سفينة الشحن هذه ، أنا وأنت وحدنا ، ثم قذف الينا البحر اللعين بذلك الايرلندى فى الضسباب ، فصيرك تحبينه ، وتشاجريننى دوما من أجله ، فلو أنه لم يأت ! اذن لما أسمعتنى ما أسمعتنى من أمور لم أكن أعرف شيئا عنها واذن لكنا فى صفاء (يهز قبضته مرة ثانية) أيها الشيطان الرجيم القدر !

أنا : (فى تعب وسأم) وما الفائدة فى هذا كله ! . اذهب الى الشاطئ ، الى خمرتك !

كريس : (يذهب فى الغرفة على اليسار فيتناول قبعته ، يتجه الى الباب بصمت وذهول - ثم يلتفت) أتظلين هنا ، يا أنا ! .

أنا : (بتثاقل) ربما - وربما لم أبق . وربما أغرقت نفسى فى الخمر أيضا ! وربما ذهبت الى ... ولكن ماذا يعينك من أمرى .. اذهب أنت واتركنى وحدى (كريس يدير وجهه متثاقلا ويخرج . تقعد أنا على النضد شاردة ببصرها الى الامام) .

سستار

الفصل الرابع

منظر

الكان ، على نحو ما كان عليه من الفصل الثالث ،
بعد يومين من الفصل السابق ، في الساعة التاسعة في
ليلة ذات ضباب ، تسمع صافرات البواخر في الميناء .
الغرفة في السفينة مضاءة بمصباح صغير على
النضد ، وفي وسط الغرفة ، على الأرض ، حقيبة . أنا
جالسة في الكرسي المترجح ، وقد ارتدت قبعتها ،
ولبست لباسها كاملا كما كانت في الفصل الأول . يبدو
وجهها شاحبا مصفرا قد أضناها وأنعلها التعب ،
حتى كأنها قضت تلك الليلتين في أرق وعذاب ، تبدو
مطرقة يائسة ، قد أسندت وجهها بيدها . يسمع صوت
طرق ضعيف على الباب في الخلف . أنا تقفز على
قدميها بسرعة تنظر صوب الباب ، نظرة مازجها
الأمل والخوف .

أنا : (بصوت خافت) ادخل (ثم مستجمعة شجاعتها ،
صائحة بحزم وعزم) ادخل (يفتح الباب ، ويبدو كريس
داخلا ، يتلمس طريقه ، كأنه لا يبصر ، وقد اتسخت
ثيابه وتبهذلت هيئته وهو يعاني من أثر السكر وبيده
قنينة مزبدة من البيرة يسير قدما وعيناه تحاولان
الهرب من عيني أنا ، وهو يتمتم بعسر) انه الضباب !
(أنا ناظرة اليه باحتقار) واذن ، فقد عدت أخيرا ، أليس

كذلك ؟ . ما أجمل منظرك هذا ! . (ثم باستهزاء) كنت
أحسب أنك ستتركنى إلى الأبد - لما جلبته لك من
عار .

كريس : (يجفل ، ثم يضعف) أرجو ألا تقولى هذا يا أتنا ! (يجلس
على كرسي بجوار النضد ، يضع عليه علبة البيرة ، وهو
يمسك رأسه بيديه) .

أنا : (ناظرة إليه بعاطفة) ما بك ؟ . أتحس أنك مريض ؟ .

كريس : (متثاقلا) أحس بالمرض فى باطن رأسى .

أنا : حسن ، وماذا كنت تتوقع بعد أن تقعت نفسك يومين
فيها ؟ . (ممتعضة) أنها تطف مزاجك . شىء جميل -
أن تتركنى وحدى فى سفينة الشحن هذه طول تلك المدة .

كريس : (بتواضع وخجل) أنا آسف ، يا أتنا .

أنا : (بازدراء) آسف .

كريس : اننى لا أحس اننى مريض فى باطن رأسى على النحو
الذى عنيته أنت ، ولكنى مريض من كثرة التفكير فيما
سيكون لك ولى .

أنا : وكيف تتصور حالتى أنا ، ألا تظن اننى كنت أفكر
أيضا ؟ .

كريس : أنا آسف يا أتنا (يرى حقيبتها فيجفل) أهيات حقيبتك
يا أتنا . وهل كنت على أن تسافرى .

أنا : (بشدة) نعم ، لقد كنت عائدة توا مما تصورته !

كريس : أتنا !

أنا : لقد ذهبت إلى الساحل لأستقل القطار إلى نيويورك ،
وقد انتظرت وانتظرت حتى عيل صبرى من الانتظار ،

ثم بدا لى أن أغير الراى ، فقررت ألا أسافر اليوم ولكننى سأذهب غدا ، وتكون النتيجة حينئذ هى هى .

كريس : (رافعا رأسه - متوسلا) لا ، لا تفعلى ذلك يا أنا .

أنا : (ساخرة) ولم لا ؟! أحب أن أعرف .

كريس : لا اظنك عائدة أبدا - الى تلك الحالة - أبدا ، اقول لك اننى طويت صفحا عن ذلك .

أنا : (بشك) ما الذى طويت ؟!

كريس : (وكأنه لم يسمع سؤالها - ثم بحزن) أقلت : انك كنت منتظرة ؟! . أراهن أنك كنت فى انتظارى أنا .

أنا : (بقساوة) قد تكون أنت الرابع .

كريس : كنت فى انتظار ذلك الايرلندى ؟

أنا : (متحدية) نعم - اذا أردت أن تعرف (ثم بضحكة اليأس) واذا قدر له يعود ، فأحسبه انما يعود ليتركنى أو يقتلنى . وهبه عاد وفعل هذا ، فأنا أفضل أن يعود ويفعل ما يفعل ، على ألا يعود ولا يطل علينا أبدا !

كريس : يبدو لى أنك كنت والهة به اذن ، لا بأس بهذا !

أنا : يبدو لك !

كريس : (ماتفتا اليها بوقار) واذا لم يأت ، فساكون أشد أسى، من أجلك أنت يا أنا !

أنا : (متأطفة) يبدو لى أنك غيرت نعمة حديثك أى تغيير !

كريس : لقد كنت أفكر ، وقد رأيت أن الذنب ذنبى فى كل ما حدث لك من سوء (متوسلا) أرجو ألا تكرهينى يا أنا ، اننى عجزت خرف ، وهذا كل ما فى الأمر .

أنا : ومن ذا الذى يقول : اننى أكرهك .

كريس : انى آسف لما سببته لك من متاعب يائنا ، وانى لأتمنى لك حياة سعيدة فيما بقى من حياتك . فاذا كان زواجك من هذا الايرلندى يجعلك سعيدة ، فأنا أريده لك أيضا .

أنا : (بتشاقل) نعم ، قد فات الأوان ! ولكنى فرحة على كل حال بأن أراك تغير رأيك فيه .

كريس : (متوسلا) وهل تظنين أنك ربما غفرت لى يوما ما أسأت به اليك !

أنا : (بابتسامة فاترة) سأغفر لك : وأعفو عنك من الآن .

كريس : (يأخذ يدها ويقبلها - ثم بانكسار) أنا يا حبيبتي الصغيرة . أنا يا حبيبتي الصغيرة !

أنا : (بتأثر وفى شىء من الحيرة) . لا تولول ! ليس هناك ما تطلب الغفران أو العفو عنه ، انها لم تكن خطيئتى ، ولم تكن خطيئتك ، بل ولا خطيئته هو أيضا ، أنا كلنا حمقى مساكين ، والقدر هو الذى يتصرف ، ثم يلتبس علينا وجه الأمور ، فنروح نخبط خبط عشواء .

كريس : (بلهفة) ان الصواب هو ما قلته يا أنا ! أى والله ! انها لم تكن خطيئة أحد (يهز قبضته) انها غلطة ذلك الشيطان الرجيم ، البحر !

أنا : (تضحك فى غضب) يا الله ! ألا تستطيع أن تكف عن مثل هذا ... (يعود الى صمته ، فيسكت سكوت المتألم . بعد لحظة تتابع أنا حديثها) قلت قبل دقيقة أنك ستعنى بى ، وتضع الأمور فى نصابها - فما الذى أنت فاعله ؟

كريس : (بعد لحظة تردد) سأقلع عائدا الى البحر مرة أخرى ، يا أنا .

أنا : (ذاهلة متحيرة) تفعل - ماذا ؟ .

كريس : لقد وقعت عقدا على الايجار في باخرة غدا ، لقد عدت الى عملى القديم ، رئيسا للملاحين (انا تحقق فيه ، وحين يستمر في حديثه تكسو وجهها ابتسامة فاترة) ويبدو لى أن هذا هو خير ما أستطيع أن أعمله من أجلك أنت ، اننى - على ما أحسب - لم أكن الا شؤما عليك ؛ لقد كانت حياة أمك كئيبة قاتمة ، وكنت السبب في هذا ، وما كنت أريد أن تكون حياتك أنت مثلها ، ولكنها صارت كذلك على غير ما أردت . انه البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ، هو الذى خلق منى انسانا لا يسدى الخير لانسان . ولا أرى الآن فائدة في عناد البحر ومخاصمته . وأقسم بالله أن ليس بوسع انسان أن يغليه .
أنا : (تضحك بمرارة وآلم) واذن على هذا النحو وضعت الأمور في مواضعها . أليس كذلك .

كريس : نعم ، يبدو لى لو أن ذلك الشيطان الرجيم ، البحر أعادنى اليه ، اذن لأبقاك وحدك .

أنا : (بمرارة) ولكن - بالله عليك - ألا ترى أنك عائد لنفس ما كنت عليه قبلا ، ألا ترى هذا ؟ . (ترى الحيرة والذهول يستوليان على وجه أبيها ، فتكف عن هذا الاسترسال) ولكن ما الفائدة في الكلام . أن كل ما في الأمر هو أنك لست على صواب وانى لن ألومك بعد الآن على شيء ، ولكن كيف قدرت أن هذا الذى فعلته هو الذى سيصلح به أمرى ؟ .

كريس : لم يكن هذا كل شيء ، لقد طلبت الى الذين يعملون في مكتب الباخرة أن يدفعوا اليك ، كل شهر ، كل ما أستحقه من أجر ، وأن يظلوا كذلك مدة غيابى .

أنا : (بضحكة فظة) شكرا . ولكن يبدو لى انى لن اكون
فى ضنك من العيش بحيث أحتاج الى الدراهم القليلة !

كريس : (متألما - متواضعا) أنا أعرف انها ليست بالكثيرة ،
ولكنها تكفيك وتقيك أن تعودى الى ما كنت عليه .

أنا : (مسرعة) أطبق فمك واسكت ، وسنتحدث فيما بعد
عن هذا . أرايت ..

كريس : (بعد لحظة يتردد فيها - ثم باستعطاف) أترين أن
أذهب الى الساحل أبحث لك عن ذلك الايرلندى ،
يا أنا ؟ .

أنا : (غاضبة) كلا ، أظننى أريد أن أجره الى جرا .

كريس : (يتوقف لحظة - ثم يقول وهو متضايق) أقسم بالله
انه الشراب ! انه لم يعد يناسبنى ، وقد أحدث فى -
على ما أرى - ضربا من الحمى ، انى أشعر اننى بحر
الجهيم (يخلع سترته ، يدعها تسقط على الأرض .
يسمع صوت لسقوطها) .

أنا : (فزعة) ما هذا الذى فى جيبك بالله عليك ! حمل من
الرصاص ! (تنحنى اليه فتناوله سترته مخرجة
مسدسا منها - تنقل بصرها بين المسدس وبينه وهى
فزعة) مسدس ! . مالك ولهذا !؟ .

كريس : (بسذاجة) نسيت ، لاشيء . وهو خال من الرصاص
على أية حال !

أنا : (تفتحه لتتأكد من فراغه ، ثم تغلقه ، وتنظر الى كريس
نظرة الشاك) انك لم تخبرنى لم أخذته .

كريس : اننى شيخ أحمق . لقد أخذته معى حين ذهبت الى

الشاطيء اول الامر ، وكنت اظن حينذاك ان كل ما حدث كان سببه ذلك الايرلندى .

أنا : (برجفة) اقول انك أكثر حماقة مما تصورتك ، انى لم يخطر بخاطرى أنك واصل الى ما وصلت اليه .

كريس : (مسرعا) لم اكن كذلك ! وسرعان ما ظهر لى وجه الصواب ، حتى اننى لم اشتتر العتاد . ليس الذنب ذنبه ، وقد أدركت هذا .

أنا : (ما زالت فى شك من أمره) حسن سيكون هذا فى عهدتى الى حين سواء اكان فارغا ، أم مملوءا (تضعه فى مجر النضد ، وتطبق الزناد) .

كريس : (متلطفابها) القه فى البحر اذا شئت ! فلا أهمية له عندي (بعد سكوت لحظة) أرى ان الأوفق أن اذهب فأضطجع . أحس كأننى مريض (تتناول أنا مجلة من فوق النضد ، ويظل كريس يتردد بجانب كرسيها) نتحدث مرة أخرى قبل أن اذهب ، أليس كذلك ؟

أنا : (متثاقلة) الى أين تذهب تلك السفينة !

كريس : الى مدينة الكاب ، فى جنوب افريقية ، وهى باخرة انكليزية يسمونها « لوندندرى » (يقف مترددا ثم ينفجر صارخا) أنا - أرايت أن تصفحى عنى ! .

أنا : (متعبة) نعم ، وما من شك فى أنى سأصفح عنك . ما أنت بالماوم ، وما أنت .. الا كما أنا !

كريس : (متوسلا) اذن ... أسمحين لى بأن أقبلك مرة أخرى .

أنا : (رافعة وجهها - ثم بابتسامة فاترة) نعم ، لم يبق فى خاطرى ما يسوء .

كريس : (يقبلها وهو كسير) أنا - ياصغرتى الحبيبة ! أنا ...

(يبحث عن لفظة يعبر بها عن مشاعره فلا يجد - ثم
ينشج يائسا) لا يطاوعنى قلبى على قولها ! ليلتك
سعيدة ، يا أتنا .

أنا : ليلتك سعيدة (يأخذ قنينة البيرة ، ويمشى الى الغرفة
على اليسار متثاقلا خائر العزم ، منحني الظهر ، منكس
الرأس . يطبق الباب وراءه . أتنا تقلب صفحات المجلة
الواحدة بعد الأخرى ، محاولة أن تطرد ما برأسها من
خواطر بالنظر الى الصور فى المجلة ، واذ لا تجد فى
الصور ما يلهيها عن خواطرها ، تلقى المجلة على النضد ،
وتنفجر واقفة ، وتروح تمشى فى الغرفة حائرة ، وهى
تشبك يديها مرة ، وتطلقهما أخرى . تتحدث الى نفسها
بصوت عال مرتجف) يا الهى ! انا لا اقوى على احتمال
هذا ! ثم ما هذا الذى انتظره - كالمعتوهة المخبولة ! .
(تضحك ثم تقطع ضحكها فجأة ، حين تسمع وقع
خطى ثقيلة على ظهر السفينة . يبدو لها أنها تعرفها
فيتألق وجهها بالبشر ، تصرخ وهى تلهث) مات !
(يتسلط عليها رعب غريب فى الحال ، فتسرع راكضة
الى النضد ، تفتح مجره وتخرج المسدس منه ،
وتقعد القرفصاء فى الزاوية ، على اليسار ، وراء الخزانة ،
بعد لحظة يفتح الباب على مصراعيه ، ويبدو فيه ما تبرك
داخلا . يبدو فى حالة رثة مزرية - ملابسه قدرة مهلهلة ،
علقت بها نشارة الخشب ، كما لو كان قد تدحرج أو
نام على الأرض فى إحدى الحانات ، ترى كلمة محمرة
فى جبهته فوق إحدى عينيه ، وترى الأخرى مثلها فى
وجنته ، وترى مفاصل أصابعه وقد كشط بعض الجلد
عنها وتسليخت - آثار واضحة لعراك كانت فيه عيناه

تقدحان الشرر محمرتين ، ووجهه وادم منتفخ . ووراء
هذه المظاهر الدالة على أنه كان في سكر بين - مظهر
آخر يبدو في عينيه يعبر عما يعاينه من انفعال عقلي
عنيف ، يشبه انفعال الحيوان يكبح جماحه) .

يرك : (يتطلع بعينيه ، يغمضهما ويفتحهما في جوانب الغرفة ،
ثم بصوت فظ غليظ) لا تخفى نفسك ، كائنا من كنت
عنى ! - ولو انك تعلمين أن لي الحق في أن أعود اليك
وأقتلك (يقف متسمعا - واذا لا يسمع صوتا ، يقفل
الباب وراءه ويتقدم الى النضد . يلقي بنفسه في الكرسي
المثارجح - ثم بيأس وعزيمة خائرة) يبدو لي أن ليس
في المكان أحد ، وما أنا الا أخرق معتوه حين عدت
راجعا (ثم في انفعال وبصوت غير واضح) يا الله !
ياماتبرك ! أي حمار أحرق صرت ، ويل لك ، ولما دهاك !
أقول لك انها تولت من هنا وانك لن ترى وجهها أبدا
بعد (تقف أثا ، يتعاورها الفرح والخوف . ماتبرك
يلمح حقيبة أنا ، فينحني عليها متطلعا الى ما فيها)
ما هذا ! (بفرح) انها حقيبتها ! ، وانها ما زالت هنا ،
ولكن أين هي ؟ . في الساحل !؟ (نعم) وما عساها تفعل
في الساحل في هذه الليلة اللعينة . (تغشى وجهه في
الحال غاشية من الحزن والغضب) انه ذلك ! أهو ...!؟
آه ! لعنة الله عليها (غاضبا) سأنتظرها حتى تعود
ثم أنهى حياتها القلدة بعد ذلك (تقف أثا ، وقد دب
العزم في وجهها ، تخطو في الغرفة ، والمسدس بيدها
اليمنى ، الى جنبها) .

أثا : (في صوت قاس هادىء) ما الذى تفعله هنا ؟
يرك : (يتدحرج وهو يلهث) تبارك الله ! (ثم يبقى صامتا ،
لا حراك به ، وعيناه في عينى أثا) .

أنا : (بصوتها القاسي السابق نفسه) حسن ، ألا تستطيع أن تجيب .

برك : (يحاول أن يعبر بلهجة تنم على عدم الاكتراث) كنت أحسبني وحيداً هنا ، ولقد أرببني أن أراك بهذه السرعة المفاجئة تتقدمين نحوي .

أنا : لقد انهارت أعصابك فجئتنا هنا ، من غير أن تنبه أو تطرق الباب - ما الذي تريده ؟ .

برك : (ببشاشة) لا ، لم يكن هذا بالأمر المهم ! كنت أود أن تكون لي كلمة أخيرة معك ، وهذا كل ما في الأمر (يتقدم خطوة إليها) .

أنا : (بحدة - رافعة المسدس بيدها) خذ حذرك الآن ! ولا تقترب ! لقد سمعت ما كنت تحدث به نفسك عني .

برك : (يلمح المسدس لأول مرة) أتريدين قتلى الآن ! غفر الله لك ! (ثم يضحك ضحكة المستهزئ) أم تظنين أنني أخاف هذه الزمارة العتيقة ! (يمشي بثبات إليها) .

أنا : (بغاظة وعنف) قلت لك احترس !

برك : (يقترب منها حتى يكاد المسدس يمس صدره) أطلقني اذن ! (ثم بحزن عنيف عميق) أقول لك : أطلقني رصاصك . اختتمى حياتي بطلقة ، وسأكون شاكراً لك . إنها حياة كلب قدر ، تلك التي كنت أحيها منذ يومين . منذ أن عرفت ما أنت عليه ، لقد ساءت حتى وددت لو أنني لم أكن خلقت أبدا .

أنا : (مغلوبة على أمرها ، تترك المسدس يسقط على الأرض ، حتى كأن أصابعها لم تعد بها القوة الكافية على أن تمسك

به - ثم بحالة عصبية) وما الذى تريده فى مجيئك الى هنا . لم لا تولى عني ! . اذهب الآن ! (تجتازه وتلقى نفسها فى الكرسى المتأرجح) .

برك : (يتبعها ، ثم بلهجة حزينة) يحق لك ان تسألى : لم عدت . (ثم بغضب) ذلك لأننى مخلوق جبان أحرق ، عذبت به ما حدثت به من سوء عن نفسك ، وقد شربت بحارا من الخمر جعلتنى أنسى . أنسى ؟ . يا للشيطان ! وهل أنسى لفظة واحدة ، ووجهك أبدا ياوح لناظرى ، فى يقظتى ونومى ! وظللت كذلك حتى تخيات أن مستشفى المجانين أنسب ما يكون لى من الأماكن ! .

أنا : : ناظرة الى وجهه ويديه - ثم بازدراء) تبدو كما لو كنت ماقى ، فى بعض الأماكن ، والعجب أنهم لم يقبضوا عليك ! وفيك آثار الكدم والسجج أيضا ، أليس كذلك؟

برك : نعم - كان لى صراع مع كل سافل يشمر عن ساعده ، ويخاع سترته للعراك (بوحشية) وكلما لکمت أحدهم لكمة فى وجهه ، تخيلته وجهك الذى أضربه ، لا وجهه . وكان بودى لو ضربتك ضربة أطاحت بك من وجه هذه الدنيا ، الى حيث استريح من النظر اليك أو التفكير فىك .

أنا : (ترتجف شفاتها مسترحمة) شكرا !

برك : (يتمشى حائرا) نعم ، لقد اتخذت منى العوبة تلعبين بها ! آه ! حقا اننى لجبان أخرق حين أعود فأحدث اليك ، ولك الحق كل الحق فى أن تتخذى منى اضحوكة والعوبة .

أنا : ما أنا بالساخرة منك ، يامات !

برك : (غير ملتفت الى قولها) كوني أنت ما تكونين ، أما أنا فماتبرك . وانه العار الاسود لى اذ أعود فأنظر اليك مرة اخرى .

أنا : (بحنق وغضب) أخرج اذا ، وما من أحد يريد بقاءك .

برك : (حائرا) وان أستمع الى هذا الكلام من امرأة مثلك ، نم أخاف أن أسكتها بضربة تطبق قمها ! آه أعنى يا الهى أنا الجبان الخائر ، وللرجال كلهم أن يبصقوا فى وجهى ! ثم بغضب وحنق) ولن أخرج من هنا الا بعد أن أفرغ من قول ما أريد (يرفع قبضته مهددا) والا بعد أن أعلمك ما أوصلتنى اليه . (تتراخى قبضته فتنزل يده) لا تغضبى الآن ! فأنا أهذى هذيان مخبول محموم ، وانى لأرى هذا الحزن الذى بعثته فى* ، قد تزايد حتى جعلنى اغرق فى بحر من الأحزان ! (ينحنى اليها فجأة فيقبض على ذراعها بشدة) اقول لك : قولى لى انها كذبة كذبتها على* ! وان هذا هو الذى بعثنى اليك ! لأستمع الى ما عساك تقولينه !

أنا : (متشائلة) كذبة ! . ماذا ... ؟

برك : (يستعطفها بانفعال ورجاء) كل ما حدثتنى به من سوء عن نفسك ، قبل يومين ، انه كذب من غير شك . وقد أردت به أن تسخرى منى . أليس كذلك ؟ . قولى لى انها كانت كذبة كذبتها يا أنا ، وسأصلى صلاة الشكر راکعا على ركبتى لله ذى الجلالة العظيم !

أنا : (ترتجف مرتاعة - ثم بصوت خافت) لا أستطيع ذلك يامات (واذا يدير وجهه عنها - تتوسل) آه ! يامات ! الا ترى أن لا عبرة بما كنت عليه قبلا ، ما دمت لم

أعد امت الى ذلك القديم بصلة . لم لا تستمع الى ؟ !
لقد حزمت أمتعتى عصر هذا اليوم ، وذهبت الى
الشاطئ . لقد انتظرت هنا وحدى يومين كاملين عساك
تعود ! أقول لنفسي عساك تدبر رأيك فى كل ما قلت ..
وربما ... آه ! اننى لا أدرى ما الذى كنت أدبره ! ولكننى
مع هذا كنت خائفة أن اترك غرفتى هذه لحظة واحدة ،
أقسم اننى كنت خائفة أن تعود ثم لا تجدنى هنا . ثم
يئست وانقطع أملى حين رأيته ولا أثر لك ، فذهبت
الى محطة القطار . لقد كنت على أن اذهب الى نيويورك
وأن أعود ...

برك : (بفظاظة) لعنة الله عليك !

أنا : اصغ الى يامات . انك لم تأت ، وقد يئست ، وانقطع
أملى ! ولكن ، فى المحطة ، رأيته غير قادرة على الذهاب .
لقد اشتريت بطاقة السفر ، وحزمت أمتى على ذلك
(تخرج بطاقة السفر من ملابسها وتضعها أمام عينيه)
لقد أدت خواطرى فيك ، فانشيت عن ركوب القطار -
انشيت ولم أستطع ! ولذا عدت أدراجى الى هنا لانتظر
وانتظر . آه يامات ! الا ترى اننى تبدلت . الا ترى أن
تغفر لى ما مضى ودفن ... وتجعله نسيا منسيا ! .

برك : (يلتفت اليها - والغضب يغلبه) تقولين : انس ! .

أقول لك : اننى لن أنسى ذلك حتى أموت ، وستظل
خواطرى فيه مبعث العذاب (كأن به مسا من الجنون)
كنت أود أن أرى واحدا من أولئك الذين ... بجانبى
وأظل أضربه بيدى هذه حتى أراه جثة ملطخة بالدماء
أمامى ! وانى لأود أن أراهم كلهم يسلكون فى الجحيم
ويوضعون فى النار ... الى يوم القيامة ... وأود أن أراك
معهم أيضا ، لأنك مثلهم رداءة وسوءا .

أنا : (مرتعشة) مات ! (ثم بعد لحظة صمت - تم في صوت هادىء هدوء الأموات) حسن ، لقد قلت كلمتك . وأولى بك الآن أن تذهب .

برك : (يتجه متثاقلا الى الباب - يتردد - وبعد لحظة صمت) ثم ماذا تعملين بعد ذلك ؟ .

أنا : وما يعنيك من أمرى .

برك : أنا أسألك !

أنا : (فى اللهجة نفسها) لقد حزمت أمتعتى ، واشتريت بطاقة السفر ، وسأسافر الى نيويورك غدا .

برك : (بلهجة اليأس) أتعنين أنك ستعودين الى ما كنت عليه قبلا ؟ .

أنا : (بثبات) نعم .

برك : (متضايقا متألما) لا لن ... لا تعودى لعذابى بمثل ذلك الحديث ! أنك شيطانة بعنت لتدفعينى الى الخبل والجنون .

أنا : (يتخافت صوتها) آه ، بالله عليك يامات اتركنى وحدى ، وأخرج ، ألا ترى ما أنا فيه ، وفيم تحب أن تظل تركلنى برجلك ؟ .

برك : (بحنق) أنك لتستحقين أسوأ مما قلت ... سامحك الله !

أنا : نعم ، ربما أستحق . لقد أسرفت فى تكرار هذا عنى مسمعى ، وهلا يكفيك اهانة وتعريضا بى ! ولم لم تفعل ما قلت أنك تنوى أن تفعله . ولم لم تسافر بتلك السفينة التى قلت أنها ستنقلك الى الطرف الآخر من هذا العالم ، الى حيث لا ترانى أبدا .

- برك : لقد فعلت !
- أنا : (مرتاعة) ماذا - اذن - بالله عليك - ستسافر !؟
- برك : لقد وقعت ظهر هذا اليوم ، وأنا على ما أنا عليه من السكر ، عقدا - وستبحر السفينة غدا .
- أنا : وإلى أين ستبحر هذه السفينة ؟ .
- برك : إلى مدينة الكاب .
- أنا : (تعود بذاكرتها إلى هذا الاسم الذى سمعته قبل هنيهة - مرتبكة) مدينة الكاب ! وأين تقع هذه ! . بعيدا ؟ .
- برك : انها فى نهاية افريقية - وهى بعيدة بعيدة ! .
- أنا : (متكلفة الضحك) أنت على وعدك اذن ، اليس كذلك ؟! (تتوقف لحظة - ثم بلهجة المستفهم) وما اسم السفينة!
- برك : « اللوندندرى ! »
- أنا : (يلمح فى خاطرها انها السفينة التى سيبحر بها أبوها) اللوندندرى ! انها السفينة نفسها - ! آه يا الهى ! هذا أشق من أن يحتمل (ثم بضحكة عصبية فظة) ها ! ها ! ها !
- برك : ماذا دهاك !
- أنا : ها ! ها ! ها ! هذا مضحك ! مضحك ! أكاد أموت ضحكا منه !
- برك : (منفعلا) وعلام تضحكين ! .
- أنا : انه سر . ستعرفه بعد قليل . انه امر مضحك (تسيطر على مشاعرها - فتتوقف لحظة - ثم تمضى ساخرة)

وأى نوع من المدن مدينة الكاب هذه ؟ . يبدو لى ان فيها كثيرا من النساء .

برك : ملعونات كلهن ، وعسانى لا أرى امرأة أخرى حتى أموت.

أنا : هذا ما تقوله الآن ، على أنى أراهن انك ما تلبث أن تصل الى هناك حتى تنسى كل ما له شأن بى ، وتأخذ فى الحديث لأول امرأة تلقاها هناك ، على النحو الذى تحدثت به الى .

برك : (وقد آله ما سمع) لن أفعل هذا ، وإذا أصلحك الله ! أردتني أن أكون بعيدا ، لتعودى الى شأنك الذى كنت فيه ، وتظلى متعلقة بهذا وبذاك سنى حياتك كلها .

أنا : (تستشيط غضبا) نعم ، وهذا كل ما قصدت اليه ! كنت على هذا - حياتك كلها ، تصطحب فتاة جديدة فى كل ميناء تصل اليه ، فهل كنت أحسن حالا منى فى هذا ؟

برك : (فى سورة من الغضب) ألا ترين ان تخجلنى أبدا مما فعلت . أنا مخبول حين أضيع الوقت بالحديث اليك على حين لا تزددادين الا تمسكا بحمأة الرذيلة . سأخرج الآن من هنا ، وأتركك وحسبك الى الأبد (يتجه الى الباب - ثم يقف ملتفتا اليها بغضب) ويبدو لى أن اكاذيبك التى أخبرتنى بها كنت تقولينها لكل من يلتقى بك .

أنا : (بحنق وسخط) هذه كذبة ! وأنا لم أفعل هذا أبدا

برك : (متراجعا) كنت تقولين هذا ، على أى حال .

أنا : (بثبات وتزايد) أتريد أن تتهمنى - بأننى كنت أحبهم ، أحبهم حقا ! .

برك : نعم أنا أظن هذا ، وما عندى شك فيه .

أنا : (مهتاجة ، حتى كأن هذا آخر اهانة يمكن أن تلصق بها - تتقدم اليه مهددة) أيها الأحمق ! أنت ! لقد طال اصطبارى عليك وكثر احتمالى منك ، فلا تزيدن فى جراتك على ! (ثم بمرارة واحتقار) أحبهم ! آه ! أيها الأحمق الضعيف العقل ، أنا أحبهم ! (بشراسة وخشونة) أنا أكرهم ! أقول لك : أنا أكرهم ! أكرهم ! أكرهم ! وضربنى الله ضربة الموت ، وضرب أمى أيضا ان كانت ما تزال حية ، ان كنت قلت لك غير الصدق والحق !

برك : (مسرورا بما أظهرته من حدة وسورة - تلوح مخايل الرضا فى وجهه ، ولكنه يظل فريسة بين الشك وبين الرغبة فى التصديق - ثم بيأس) ليتنى استطعت تصديقك الآن !

أنا : (بدهول وحيرة) أوه ، وما الفائدة . وماذا يفيدنى أن أتكلم ! . بل وما فائدتى من كل ما فى الدنيا ! . (متوسلة) أوه ! مات ، لا تتوهمن هذا ، ولو فى لحظة واحدة ! لا تتوهمن هذا أبدا ! قل ما شئت أن تقوله عنى من رذيلة وخسة ، وأنا لا أحاك لأنك على حق فى أن تقول ما تريد . قل ما شئت الا هذا !! (توشك دموعها أن تنهمر) أنا لا أطيق احتمال هذا انه فوق ما أحتمل أن أعرف أنك مسافر الى حيث لا أراك أبدا - أترى ما أنا فيه ! .

برك : (بعد صراع نفسى - ينطق بألفاظه بصعوبة وعسر) لو اتنى صدقت - بأنك لم تحبى رجلا آخر فى الدنيا غيرى أذن فربما استطعت أن أنسى ما عدا ذلك .

أنا : (بصرخة من الفرح) مات !

برك : (بهدوء) واذا كان الصدق ما كنت تقولينه ، اذن فقد

يكون لى الحق فى ان أتصور أنك قد تبدلت ، واننى ،
انا نفسى ، قد بدلتك وغيرتك ، حتى كأن كل كان ماكان
لك فيما سبق من حياتك ، لم تعد لك به صلة أبدا .

أنا : (متعلقة بألفاظه - تجذب انفاسها بعسر) أوه ! مات !
هذا كل ما كنت أريد أن أقوله لك طوال الوقت ! .

برك : (ببساطة) ان فى لقوة أستطيع أن أقود بها الرجال ،
أوجههم الوجهة التى أريدها ، وربما كان لى هذا فى
النساء أيضا . ويبدو لى انى قد صيرت منك امرأة
أخرى ، حتى انى لا أستطيع أن أعرف-كما لا تستطيعين
أن تعرفى أنت - أى امرأة كنت فى ماضيك .

أنا : نعم ، أنت قادر على ذاك يامات . انا أدرى أنك قادر عليه.

برك : يبدو لى ان ليس الذنب ذنبك ، ولكنه ذلك القرد العجوز
أبوك ، هو الذى تركك تنشئين وحيدة ، فصرت الى
ما صرت اليه . ولو اننى استطعت أن أصدق اننى انا
وحدى الذى ...

أنا : (ذاهلة متحيرة) عليك أن تصدق ذلك يامات ! وماذا
بوسمى أن أعمل ! سأعمل كل ما يعمل ، أعمل كل
ما تريد لأبرهن اننى غير كاذبة فيه .

برك : (يبدو فجأة كأنه وجد حلا للقضية . يتلمس جيب
سترته ، فيقبض على شىء فيه - ثم بهدوء) أتريدين
أن تحلفى يمينا ، الآن ! يمينا رهيبة غليظة ، قد يبعث
روحك الى الشياطين فى جهنم ان كنت كاذبة .

أنا : (برغبة وشغف) نعم ، حقا سأحلف ، نعم أحلف على
ما تريد ، يامات !

برك : (يخرج صليبا رخيصا قديما ، عليه صورة المسيح مصلوبا ، من جيبه ويرفعه عاليا لتراه) اتحلفين بهذا ! .

أنا : (تمد يدها اليه) نعم ، أحلف ، أعطنيه .

برك : (يبعده عنها) انه صليب أعطته لى امى يرحمها الله (يرسم علامة الصليب بصورة آلية) كنت فتى حينذاك وقد أوصتني أن أبقيه معى ، والا أتخلى عنه فى يقظتى ولا فى منامى ، وقالت انه سيجلب لى الطالع الحسن . وماتت بعد ذلك بقليل . وبقيت محتفظا به منذ ذلك الحين ، وأقول لك ان به قوة خارقة ، وانه أنقذنى من مهالك وورط عديدة ، وأنا أجوب البحار ، وكان حول عنقى معلقا ، حين غرقت سفينتنا الأخيرة ، فأوصلنى سالما الى البر ، على حين غرق أصحابى وماتوا فى البحر . (ثم بجذ وحماسة متزايدة) وانى أحذرك الآن ، اذا أنت أقسمت به اليمين ! انها امى العجوز هى التى تطل عليك من السماء فوقنا ، وهى التى تدعو الله ذا الجلالة ، والقديسين أن يلعنوك اللعنة الكبرى اذا سمعتك تكذبين حين تحلفين .

أنا : (مروعة مما رآته من حالته وقد اعتقدت بالخرافة) لست أقوى على اليمين - وأرجو أن تثق - لو اننى كنت كاذبة ، ولكنه الصدق والحقيقة ! ولذا فأنا لا أخاف أن أحلف . أعطنى إياه !

برك : (يسلمه إليها - وكأنه خائف على سلامتها منه) أقول لك : كونى على حذر مما ستنطقين به فى يمينك !

أنا : (تقبض على الصليب بحذر) حسن ، ما الذى تريد منى أن أقوله فى القسم . قله أنت .

- برك : احلفى اننى أنا الرجل الوحيد الذى أحببته فى الدنيا .
- أنا : (وهى تنظر فى عينيه بثبات) أنا أقسم على هذا !
- برك : وأنتك من اليوم ستنسين ما عملته من رذيلة ، ولن تعودى أبدا الى مثلها .
- أنا : (بشدة وقوة) أنا أقسم على هذا ! أقسم بالله ! - على هذا !
- برك : وعسى أن يلعنك الله اللعنة السوداء ان كنت كاذبة !
قولى هذا الآن .
- أنا : وعسى أن يلعننى الله اللعنة السوداء ان كنت كاذبة .
- برك : (يتأوه آهة هائلة غريبة) آه ! تبارك الله لقد صدقتك الآن (يتناول الصليب من يدها ، وقد تهلل وجهه بشرا ، ويعيده الى جيبه ، ويلفها بذراعيه ، ويهم بتقبيلها ، ثم يكف فجأة ، اذ تلوح بارقة من الشك فى خاطره) .
- أنا : (فزعة) ما بك . ما دهاك ؟!
- برك : (بسؤال فظ قاس) اكاثوليكية أنت ؟.
- أنا : (مرتبكة) لا ، لم ؟
- برك : (بحيرة من يرتكب أمرا محرما) اوه ! أعنى يا الهى !
(ينظر اليها نظرة الشاك المرتاب) هذه خديعة الشيطان !
أن تقسمى اليمين بصليب الكاثوليك ، وأنت أحد أولئك الذين هم على غير مذهبهم .
- أنا : (متحيرة ذاهلة) آه ، مات ، ألا تصدقنى ؟!
- برك : (مرتبكا) اذن لم تكونى على مذهب الكاثوليك ...
- أنا : اننى غير ذات مذهب ، ثم ما الفرق ... أما سمعتنى وأنا أحلف !
- برك : (بعاطفة) آه ! اننى على حق فى أن اظل بعيدا عنك -

ولكن من لى بهذا ، وأنا أحبك رغم كل ما كان ، وأحب
أن أظل معك ولا أفارقك ! اغفر لى يا الهى مهما كنت ومهما
أنت . اننى سأجن وربما أقتل العالم ، اذا لم تكونى لى !
(يحتضنها بذراعيه ويقبلها بنهم) .

أنا : (بلهثة من الفرح) مات .

برك : (يبعدها عنه فجأة ، ويحرق فى عينيها ، حتى كأنه
يسبر غور نفسها - ثم بهدوء) وهبك كنت غير صادقة
فى يمينك ، هبك كنت كذلك ، فلا مفر لى من أن آخذ
بما قلته وأصدقك . يبدو لى أن نفسى معلقة بك الى
هذا الحد !

أنا : (وقد آلمها ما سمعت - بلهجة الموبخ) مات ، لقد
أقسمت لك اننى لم أحب من قبل .

برك : (وكأنه يتحدى القدر) سيان عندى أن تقسمى
والأ تقسمى وستزوج - بعون الله - صبيحة الغد
(يمضى فى تحديه) وسنكون ، كلانا ، سعيدين رغم
الشیطان ! (يجذبها اليه فيقبلها ثانية ، يفتح الباب على
مصراعيه ، ويظهر كريس فى مدخله ، يقف ويغض الطرف
عنهما ، يلتصق فى عينيها ما يكره من كره قديم لبرك ،
ثم يزول الكره ويحل محله شعور من الراحة والرضى ،
ويلتصق البشرى والسعادة فى وجهه ، يدير ظهره عائدا
الى غرفة النوم - ثم يعود فى الحال ، وقنينة البيرة
بيده - بابتسامة) .

كريس : نشرب - والله نخب هذا (ينفصل كل منهما عن الآخر ،
وقد بدا الاستغراب فى وجهيهما) .

برك : (منفجرا) يالله ! (يخطو الى كريس مهددا) .

أنا : (بفرح - الى أبيها) هكذا يجب ان يكون الحديث
(ضاحكة) وأقول انه آن ان يقل كل منكما صاحبه ،
وان تسويا ما كان ، وستكونان رفيقين في الملاحه في
الباخرة « لوندندري » هل عرفت هذا ؟ .

برك : (دهشا) رفيقان في ملاحه السفن - وهل هو نفسه ؟
كريس : (دهشا أيضا) لقد كنت رئيس الملاحين بها .

برك : يا للشيطان ! (ثم غاضبا) ستعود الى عملك في البحر
وستتركها وحيدة أيضا ، أليس كذلك .

أنا : (مسرعة) لا بأس بهذا يامات . انه ابن البحر . واليه
أود ان يذهب ، وهذا ما يجب أن تفعله أنت أيضا ، لأننا
بحاجة الى المال (تتناول كأسيهما ضاحكة) اما بقائي
وحيدة ، فهذا امرا اعتادت عائلتنا عليه ، وسأعتاده أنا
أيضا (تملأ كأسيهما) سأهين بيتا صغيرا ، وسيكون
فيه مأواكما الذي تأويان اليه حين تعودان من البحر -
انتظرا وستريان ! . والآن ! ارفعا كأسيكما واشربا وكونا
صديقين !

برك : (بسعادة وفرح - ولكنه ما زال حائقا بعض الحنق
على الشيخ والدها) نعم نفعل (يصدم برفق كأس
كريس بكأسه) صحتك ! (يشرب) .

كريس : (مغاوبا على أمره ، تكسو وجهه سحابة من الغم)
صحتك ! (يشرب) .

برك : (مشيرا بعينه الى أنا) سوف لا تظلين طويلا وحدك ،
وسأجهد - بعون الله - جهدي في هذا ، وأقول لك ،
سيكون له حفيد يركب على ركبته في القريب .

أنا : (تدير وجهها عنه مرتبكة) كف عن المزاح الآن ! (تأخذ

حقيبتها وتمضى بها الى الغرفة على اليسار . وحين
تذهب تعود الى برك خواطره الحزينة القاتمة ، كريس
يحملق فى كأسه وهو سارح الذهن ، ويظل كذلك حتى
يلتفت اليه برك) .

برك : هل انتما على دين ، - ايا كان - انت وابنتك اثنا ؟ .
كريس : (مستغربا) لم لا ؟ نعم . كنا من اتباع لوثر فى بلدنا
من قبل .

برك : (مرتاعا) من اتباع لوثر انتما (يتمتم الى نفسه اول
الامر ، ثم يرفع صوته عاليا) ويل لى اذا ! يا الله ثم
ما الفرق . انها مشيئة الله ، على اى حال !

كريس : (مهموما بما يدور فى خاطره من آراء - يتحدث حديث
من يتوقع ما لا يسر - اثنا تعود داخلة من اليسار) امر
مضحك ، امر غريب ، نعم ، أن يبحر كلانا ، أنا وانت ،
فى سفينة واحدة على هذا النحو . ليس هذا من الحق
فى شيء ! أنا لا أدري - لم يلعب البحر ، على هذا النحو
الغريب ، وهو الشيطان الرجيم ، علينا بحياته القدرة .
نعم ، على هذا النحو (يقف على قدميه متراجعا الى
الوراء ، ثم يفتح الباب وينظر فى الظلام) .

برك : (يومئ برأسه ايماءة المسلم ، بما قيل - ثم بحسرة
عميقة) أخشى أن يكون الحق معك فيما اذا ادعيتة هذه
المررة - أخذك الشيطان !

اثنا : (تتكاف الضحك) يا ! ألم توافقه على ما قال يامات ؟
(تتقدم اليه واضعة يدها على كتفه - ثم بلهجة الفرح)
أقول : ما بك . أطردهم عنك ، فقد قر قرارنا ، وسويت
امورنا جميعا ، أليس كذلك ؟ . (تدير الشراب فى كأسه
تملؤها وتملاؤا كأسا آخر لها - تضربه على ظهره) هيا

بنا ! الى البحر وليكن ما يكون . كن لاعبا ، لا ترعه
الخسارة ، واشرب نخب هذا . هيا بنا ، هيا ! (تصب
كأسها في فمها تشربه شربة واحدة ، وبرك يطرد ما لاح
بخاطره من خواطر سوداوية ، بأن يهز رأسه ثم يتمتم ،
ويشرب نخبها) .

كريس : (يتطلع الى الخارج في الليل فتستحوذ عليه افكاره
السوداوية الحزينة - يهز رأسه وهو يتمتم) ضباب
في ضباب ! في ضباب طوال هذا الوقت اللعين ، حتى
انك لا تستطيع أن ترى ما أنت صائر اليه . لا ... ان
البحر ، ذلك الشيطان الرجيم ! وحده يعرف ذلك
(يحدق كلاهما فيه ، وينطلق من الميناء صوت صفارة
الباخرة ، وكأنه نواح حزين مكتوم) .

ستار



مطبعة مصر ٢٨/٥٠٥٨/٣٠٠٠

هذا الكتاب

ليست مسرحية « أنا كريستى » هى أولى المسرحيات التى نقدمها للمقارئ العربى من تأليف يوجين أونيل . فقد نشرت له مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين مسرحية « وراء الأفق » فى طبعتين متتاليتين ، كما تنشر له بالاضافة الى هذه المسرحية مسرحيات « الامبراطور جونس » ترجمة الأستاذ أنيس منصور ، و « التيه » ترجمة الأستاذ كمال الملاخ كما سبق أن نشر له فى بغداد مسرحية « الاله الكبير براون » ترجمة الدكتور جميل سعيد وهو نفسه مترجم هذه المسرحية التى نقدم لها اليوم . . .

. . . ان ادب أونيل من طراز فنى متفرد فليس أصعب على الناقد من أن يحاول أن يدرجه فى مدرسة من تلك المدارس المسرحية التى جرى النقاد على تقسيم الأدب المسرحى اليها ووضع معالم مميزة لكل منها فخصائص هذه المدارس مختلطة متداخلة فى أدبه ، وفى كتاباته رمزية ، وفيها واقعية ، وفيها فلسفة ، وفيها رومانسية . ولكن مسرحياته مع ذلك لا تنتمى - بالمعايير الفنية الدقيقة - الى أية مدرسة بذاتها من هذه المدارس ذلك لأن الصحيح أن أونيل مدرسة جديدة فيها من خصائص وفيها أيضاً غموض فى بعض النواحي ومشبوبة على الحياة كما عرفها خلال حياته الخاصة ممثلاً فى مجتمعه الأمريكى . . .

Bibliotheca Alexandrina



0426533



من
حسن جلال

كتاب لابد أن يقرأ

مطبوعة